وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي –

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في مادة
اللسانيات العربية

محاضرات مقدمة لطلبة السنة الثالثة ليسانس
تخصص: لسانيات عامة.

إعـــــــــداد الدكـــــــــــتور:
فـــريد خـلـفـاوي

السنة الجامعية:
2020/2019م – 1441/1440هـ

مقـــدمة:

بسم الله الخالق البارئ المصور، بسم الله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، والشكر له على نعمه وعطائه وكرمه، ثم الصلاة والسلام على خير ولد آدم سيدنا محمد أشرف المرسلين، أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه ومن اتّبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

أفرزت النهضة الحديثة تطورات شتى في ميادين مختلفة، وألقت بظلالها على الدراسات اللغوية بشكل عام، فقد تطورت علوم اللغة وأخذت مسارا جديدا وعهدا جديدا، ولم يكن الدرس اللغوي العربي بمنأى عن هذا التحول، فبرزت في مجال اللغويات ما سمي باللسانيات العربية، وهو حقل يشمل كل الدراسات اللغوية الحديثة التي اتخذت من اللسان العربي موضوعا للدراسة.

وقد مرت اللسانيات العربية منذ نشأتها إلى يوم الناس هذا بمراحل مختلفة، اختلفت بحسب اختلاف الأوضاع في الوطن العربي، وحسب توجهات الباحثين فيها وانتماءاتهم المعرفية والايديولوجية، واحتكت بالدراسات الغربية والنتائج التي توصلت إليها اللسانيات الحديثة من جهة، وتعرضت للتراث اللغوي العربي دراسة ووصفا بإعادة القراءة من جهة أخرى.

إن موضوع اللسانيات العربية بوصفها علما ظهر حديثا جعل كثيرا من الباحثين يتعرضون له ويبحثون فيه، فشمّر مجموعة من الدارسين العرب على سواعد الجد متعرضين إلى الموضوع نشأة وتأصيلا وتطورا وتطويرا.

ويأتي إسهامي في هذا الموضوع لأجمع من خلاله سلسلة المحاضرات التي ألقيتها على طلبتي في مقياس اللسانيات العربية؛ طلبة السنة الثالثة ليسانس تخصص لسانيات عامة بجامعة الوادي، وقد عملت جاهدا على إعداد هذه المحاضرات معتمدا على مجموعة هامة من المصادر المختلفة في هذا المجال، متعرضا إلى محاوره المبرمجة، ملتزما فيها بمفردات المقياس، مراعيا في نظمها الدقة والوضوح، متبعا فيها منهجية واضحة تقوم على التمهيد للموضوع بتوطئة للولوج فيه، ثم توضيح كل جزئية أدرجتها في موضوع المحاضرة، خاتما كل محاضرة بحوصلة النتائج، مذيلا العمل بمجموعة المصادر والمراجع التي استقيت منها المعلومات.

والله من وراء القصد

المحاضرة الأولى

مدخل إلى اللسانيات العربية

(مصطلحات تراثية)

1- مدخل:

تنمو اللغة وتتطور مع تطور حياة الأفراد المتكلمين بها، حيث اتخذت أشكالا عدة، وتباينت أجزاؤها، واختلفت معاني كلماتها، وتناولتها الدراسات والأبحاث، فتقدمت بصور واضحة، واللغة من أهم المجالات التي ينبغي العناية بها لما لها من أهمية بالغة في حياة الأفراد والمجتمعات، فهي وعاء الحضارة وبداية النهضة الحقيقية لكل أمة، وأساس بنيانها، وبسلامة اللغة تسلم الأمة وهويتها وتتميز شخصيتها، بل وجود الأمة نفسها رهن بحالة اللغة فيها وحالة أهلها معها.

واللغة العربية كباقي اللغات نالت قسطا وافرا من هذه الدارسات والاهتمامات، وربما كانت أكثر اللغات التي حظيت باهتمام كبير خاصة من قبل أبنائها، لأنها لغة القرآن الكريم، وبذلك أصبحت أشرف لغة.

2- أهمية دراسة علوم اللغة:

إن دراسة علوم اللغة العربية وقواعدها هي الوسيلة التي تنفع كل من يريد أن يقوّم لسانه، ويتعلم أصول الكتابة السليمة وقواعدها، وهي الوسيلة التي تنفع كل من يريد فهم كتاب الله عزّ وجل، حيث يكون على دراية باللغة العربية وعلومها وأساليبها خاصة علمي النحو والصرف، من هنا جاءت أهمية دراسة اللغة العربية وتعلمها.

وقديما لما رأى العلماء العرب أن العجمة قد شاعت بين الناس، وأن اللحن قد انتشر بينهم، عمدوا إلى تدوين الضوابط والقواعد التي تستقيم بها الألسن، فأنشأوا علوم اللغة العربية، حيث يرى المؤرخون أن أول من أشار إلى تلك القواعد هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه، وأنه هو الذي أمر أبا الأسود الدؤلي بوضع تلك الأسس والقواعد، التي يتخلّص الناس بها من العجمة، وجاء بعده علماء كثيرون فزادوا في هذه العلوم وحرّروها وصنفوا فيها، وتعددت بذلك المدارس اللغوية.

3- المصطلحات اللغوية التراثية:

ما إن شرع أبو الأسود الدؤلي في تدوين بعض قواعد اللغة التي تحفظ استعمالها من اللحن حفاظا على القرآن الكريم حتى ظهرت دراسات عدة؛ تنوعت حسب زاوية الدراسة، وأصبحت بذلك علوما شتى، وأخذ كل علم يتطور وتتفرّع عنه علوم أخرى، سميت كلها بعلوم اللغة العربية وإن اختلفت اصطلاحاتها.

وعلوم العربية هي إحدى العلوم التي لا يمكن الاستغناء عنها لطالب اللغة العربية أو لطالب العلوم الشرعية كعلوم الكتاب والسنة أو علوم القرآن أو علوم الحديث وأصول الفقه، لأن هذه العلوم كلها أخذت ودُرست بلغة العرب، فكان من الواجب تعلّم علوم هذه اللغة ومعرفتها معرفة كاملة تمكّن الطالب من الفهم الصحيح.

وقد صنّفها العلماء إلى أصناف كثيرة، ولعل أهم تصنيف ذلك الذي قال به ابن خلدون في تقسيمه لعلوم اللسان العربي في مقدمته الشهيرة، وهو على النحو التالي:

أ/ **علم النحو**: وهو العلم المقدم في علوم اللغة العربية لما له من أهمية بالغة في تحديد المعاني والقصد من الكلام، وهو أول علم ظهر منها مع أبي الأسود الدؤلي، وسنعرض تعريفا لغويا وآخر اصطلاحيا.

. – النحو لغة: هو القصد والطريق، وسُمي بهذا الاسم لأنه يعلم الناس طريق كلام العرب الفصيح، ولأن الدارس لهذا العلم إنما ينحو بقصد كلام العرب من خلال دراسته لهذا العلم كما قال علي بن أبي طالب لأبي الأسود: "انحو هذا النحو".

والنحو هو القصد: نحوت نحوه، ومنه سمي هذا العلم في العربية نحوا، قال أبو زيد: نحوت طرفي نحوه أنحاهُ وأنحوه: صرفته إليه، فإن عدلته عنه قلتَ: أنحيْتُ بصري عنه.

. – اصطلاحا: هو علم يختص بدراسة الأصول التي تعرف بها أحوال الكلمات العربية من جهة الإعراب والبناء بعد انتظامها في الجملة، ومن خلاله نستطيع معرفة ما تكون عليه الكلمة من رفع ونصب أو جر أو جزم.

– موضوعه: ضبط أواخر الكلمات إعرابا وبناءً بحسب موقعها في الجملة على نحوِ ما يتكلم به العرب.

– واضعه: لم يختلف المؤرخون في أن واضعه هو أبو الأسود الدؤلي (ت 67هـ)، وقيل بإشارة من أمير المؤمنين، ومن بعده كتب علماء كثيرون في هذا العلم إلى أن أكمل أبوابه الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ)، وأخذ عن الخليل تلميذه سيبويه (180هـ) الذي أكثر من التفاريع ووضع الأدلة والشواهد من كلام العرب لقواعد هذا العلم، وأصبح كتاب سيبويه أساسا لكل ما كُتِب بعده في علم النحو.

– أهميته: ثمرة هذا العلم في تحمّل اللغة وأدائها من جهة الإعراب بالمعنى، والمقصود بالتحمّل فهم المقصود من كلام الغير بحسب إعرابه، فيميّز المسند من المسند إليه والفاعل من المفعول وغير ذلك مما يؤدي إهماله إلى قلب المعاني.

والمقصود بالأداء أن يتكلم المرء بكلام مُعْرَب يناسب المعاني التي يريد التعبير عنها، ويتخلص من اللحن الذي يقلب المعاني، فيتمكن بذلك من إفهام غيره.

ب/ علم اللغة: هو ثاني علوم اللغة تدوينا بعد وضع علم النحو.

– موضوعه: إذا كان علم النحو قد وُضع لتقويم اللسان من اللحن في الكلام الذي يغيّر المعاني، فإن هناك فسادا آخر قد دخل على لغة العرب غير فساد اللحن؛ ألا وهو الجهل بمعاني الألفاظ العربية.

وقد أدى هذا الجهل إلى أمرين:

- ✓ أولهما: استخدام الناس للألفاظ العربية في غير موضوعها.
- ✓ ثانيهما: استخدام الناس لألفاظ غير مناسبة أو استحداث ألفاظ جديدة للتعبير عن معان مرادة لجهلهم باللفظ المناسب الذي يستخدمه العرب.

من هنا كانت الحاجة إلى تدوين الألفاظ العربية ومعانيها، وهذا هو موضوع علم اللغة "ضبط دلالة الألفاظ على المعاني".

–أهميته: ثمرة هذا العلم في تحمّل اللغة وأدائها من جهة استعمال الألفاظ استعمالا صحيحا يناسب المعاني المراد إيصالها، والمقصود بالتحمّل فهم المقصود من الكلام بحسب الألفاظ المستعملة.

والمقصود بالأداء أن يتكلم المرء بكلام يناسب المعاني التي يريد التعبير عنها، ويتخلص من الخلط في استعمال الألفاظ الذي يقلب المعاني، أو استحداث ألفاظ جديدة للتعبير عن معان مرادة، فيتمكن بذلك من إفهام غيره.

-تدوينه: قام العلماء بتدوين هذا العلم من ثلاث جهات:

✓ تدوين أصول علم اللغة وأصواتها وضوابط دلالة الألفاظ على المعاني، وسمّي هذا العلم بفقه اللغة، وأقدم كتبه "الخصائص" لابن جني (ت 392هـ)، ومن أفضلها "المزهر في علوم العربية" للسيوطي (ت 911هـ)، ومن الكتب المعاصرة "دراسات في فقه اللغة" للدكتور صبحي صالح، و"فقه اللغة" للدكتور علي عبد الواحد.

✓ تدوين ألفاظ اللغة العربية (مفرداتها) مع بيان معانيها، وسمّيت هذه الكتب المشتملة على هذا "معاجم الألفاظ" وأقدمها كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، ثم كثرت وتنوعت طرائق مؤلفيها في الترتيب والاستيعاب والبسط والاختصار.

فمن جهة **الترتيب** منهم من رتّب الكلمات على حسب ترتيب مخارج الحروف كما فعل الخليل في معجم العين، ومنهم من رتّب على حسب حروف المعجم مراعيا أواخر الكلمات؛ فبدأ بالكلمات التي آخرها همزة كما فعل الجوهري (393هـ) في كتابه "تاج اللغة وصحاح العربية"، وابن منظور (711هـ) في "لسان العرب"، والفيروزأبادي (817هـ) في "القاموس المحيط"، ومنهم من رتّبها ترتيبا معجميا مراعيا أوائل الكلمات؛ فبدأ بالكلمات التي أولها همزة كما فعل الرازي (ت 660هـ) في "مختار الصحاح" والفيومي (ت 732هـ) في "المصباح المنير".

أما من جهة **الاستيعاب** فمنهم من ألف كتابه على استيعاب معظم مفردات اللغة كالخليل في "العين"، والأزهري (370هـ) في "تهذيب اللغة"، والجوهري في "الصحاح"، وابن منظور في "لسان العرب" ... (حتى المهجور والمهمل وبيّنوا ذلك).

ومن المؤلفين من اقتصر على المفردات شائعة الاستعمال دون المهجورة كابن السكّيت (ت244هـ) في كتابه "الألفاظ"، وثعلب (ت 291هـ) في كتابه "الفصيح"، والرّازي (ت 660هـ) في "مختار الصحاح"، والفيومي (ت 732هـ) في "المصباح المنير".

ومنهم من اقتصر على مفردات معينة كالمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (502هـ)، أو مفردات الحديث "النهاية" لابن الأثير (606هـ)، أو المفردات التي يتناولها الفقهاء كأبي منصور الأزهري (ت 370هـ) في "الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي"، و"تهذيب الأسماء واللغات" للنووي (676هـ).

✓ تدوين المعاني المختلفة مع بيان اللفظ المناسب لكل معنى منها، وهذه هي معاجم المعاني، فمعاجم الألفاظ تبدأ بذكر اللفظ ثم تبيّن معناه، أما معاجم المعاني فتبدأ بذكر المعنى ثم تبيّن اللفظ المناسب له، ويتم ترتيب المعاني فيها على أبواب، فتُذكر "الكثرة" مثلا ثم تذكر الألفاظ الدالة عليها في مختلف المناسبات والأحوال.

–فائدته: اختيار اللفظ المناسب للتعبير عن المعنى المراد بأفصح ما تستعمله العرب، ومن أهم هذه المعاجم كتاب "المخصّص" لابن سيّده وهو كتاب ضخم (مبسوط)، وهناك مَن اُختصِر على مجلد ككتاب "فقه اللغة وسر العربية" للثعالبي (ت 429هـ)، و"الألفاظ الكتابية" للهمداني.

ج/ علم البيان: وهو ثالث علوم العربية تدوينا بعد علمي النحو واللغة.

إذا كانت علوم النحو والصرف واللغة تتناول الكلمة مفردة فإن علم البيان موضوعه الكلام المركب، فعلم النحو ينظر في إعراب الكلمات، وعلم الصرف ينظر في بنية الكلمة، وعلم اللغة ينظر في معنى الكلمة، أما علم البيان فينظر في معنى الكلام المركب من أكثر من كلمة، من حيث موافقته لأساليب كلام العرب في تركيب الكلام ليؤدي المعنى المطلوب بحسب حال السامع والمتكلم وظروف الكلام.

فجملة "زيد أخي" مركبة من كلمتين، والعرب يغيّرون تركيبهما باختلاف الأحوال فقولي: "أخي زيد" يختلف عن "زيد أخي" ويختلف عن "إن زيدا أخي" كما يختلف عن "إن زيدا لأخي".

فالقول الأول خطاب لمن يعلم أن لي أخا ويريد تعيينه، والثاني خطاب لمن يعرف زيدا ويجهل أنه أخي، والثالث خطاب لمن يتردد أو يشك أن زيدا أخي، والرابع خطاب لمن ينكر أن زيدا أخي.

والخطاب في الأحوال الأربعة مركب من الكلمتين نفسيهما، والاختلاف يكمن في التقديم والتأخير واستخدام المؤكدات ليوافق مقتضى الحال؛ وهنا هو اختلاف أحوال المخاطب.

-موضوعه: موضوع علم البيان هو النظر في الكلام المركب من حيث اللفظ والمعنى جميعا، فإذا وافق تركيب الكلام أساليب العرب في إفادة المعنى سُمِي الكلام بليغا.

أما المتقدمون فسمّوه بعلم البيان كالجاحظ (ت 255ه) في كتابه "البيان والتبيين"، في حين سّماه العلماء المتأخرون بعلم البلاغة كالزمخشري (ت 538ه) في كتابه "أساس البلاغة"، ويشتمل هذا العلم على ثلاثة علوم هي المعاني والبيان والبديع.

-ثمرته: تحمّل اللغة بفهم معاني الكلام البليغ كنصوص الكتاب والسنة على أكمل وجه، أما من جهة أداء اللغة بأن يُركّب المتكلم كلامه بما يؤدي المراد على أكمل وجه.

-تدوينه: انقسمت علوم البلاغة فيما بعد إلى ثلاثة علوم؛ هي:

* المعاني: موضوعه الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يريد المتكلم إيصاله إلى السامع.
* البيان: موضوعه الاحتراز عن التعقيد المعنوي (أي الابتعاد عن الكلام غير الواضح للدلالة على المراد).
* البديع: المراد به تحسين الكلام بالمحسنات المعنوية واللفظية.

د/ علم الأدب: وجد العلماء أن مجرد العلم بقوانين اللسان العربي (العلوم السابقة) لا تمكّن الإنسان من التكلم بلغة العرب الصحيحة ما لم يخالطهم ويتلقى هذا عنهم بالسماع على التدرج حتى تحصل له الملكة.

وإذا كانت مخالطة العرب الذين لم تفسد ملكتهم وكثرة الاستماع إليهم ضرورية لتحصيل ملكة التكلم بكلامهم الصحيح فإن هذه المخالطة لا تكون إلى بالرحلة إلى البوادي والمكوث فيها طويلا، وهذا أمر لا يتيسر لكل من أراد تحصيل هذه الملكة، فاستعاض العلماء عن ذلك بجمع الجيد من كلام العرب منظومه ومنثوره ودوّنوا ذلك، وسمّيت هذه الكتب بكتب الأدب، وهذا هو علم الأدب.

-موضوعه: هو جمع الجيد من كلام العرب المنظوم المنثور.

-ثمرته: تكمن في الأداء؛ حيث يستطيع المتكلم بلغة العرب أن يوصل المعاني بشكل صحيح بليغ.

ومن أهم الكتب في الأدب كما ذكرها ابن خلدون في مقدمته وغيره من علماء العربية هي أربعة دواوين: أولها كتاب "أدب الكاتب" لابن قتيبة، وثانيها كتاب "الكامل في اللغة والأدب" للمبرّد، وثالثها

كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ، ورابعها كتاب "النوادر" لأبي علي القالي، وما سوى الأربعة فتبع لها وفروع عنها.

وهناك تصنيف آخر لعلوم العربية يصل إلى اثني عشر (12) علما متفرعة كلها عن العلوم السابقة الذكر، وهذا التصنيف أسبق من تصنيف "ابن خلدون" السابق الذكر، إذًا فلنقل أنّ تصنيفه هو إجمال للتصنيف الأول، وقد ذكرها الأديب "أحمد الهاشمي" في قوله:

نَحْوٌ وَصَرْفٌ عَرُوضٌ ثُمَّ قَافِيَّةٌ وَبَعْدَهَا لُغَةُ قَوْضٍ وَإِنْشَاءُ

خَـطٌّ بَـيَانٌ مَعَانٍ مَعَ مُحَاضَرَةٍ وَالاشْتِقَاقُ لَهَا الآدَابُ أَسْمَاءُ

ويمكن تعريفها بشكل مختصر كما يلي:

* نحو: بيان تركيب الجملة وتحليلها.
* صرف: تصريف الكلمة (بنيتها)
* عروض: علم يُعرف به صحيح أوزان الشعر وفاسدها.
* قافية: علم يعرف به أواخر الأبيات (فصيح، قبيح).
* لغة: علم المعاجم.
* إنشاء: إنشاء النثر (رسائل، خطب، قصص...).
* خط (الكتابة): أحوال الحروف وكيفية تركيبها (إملاء- ترقيم)
* بيان: إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة.
* معان: علم يعرف به أحوال اللفظ ومطابقته لمقتضى الحال.
* محاضرة: علم تاريخ الآداب.
* اشتقاق: إيجاد الكلمة الجديدة من المصادر (الأصل والفرع- قواعد الاشتقاق).
* آداب: جمع الجيد من كلام العرب.

4- <u>خلاصة:</u>

هذه أهم المصطلحات التراثية التي بُنِي عليها البحث اللغوي العربي، ومعانيها بشيء من التفصيل والتدقيق مع ذكر بعض ما حدث عليها من التغيير منذ نشأتها حتى عصرنا هذا، ويجب علينا أن نكيّف هذه المفاهيم مع معطيات الدراسات اللسانية الحديثة حتى نربط القديم بالحديث، حيث

لا نكون معياريين من جهة، ولا نكون مقلدين من جهة أخرى، بل يجب أن نكون برغماتيين إلى أقصى الحدود بما يتناسب وخصائص لغتنا العربية من جهة، وما يتناسب ومتطلبات البحث العلمي الحديث من جهة ثانية، وما يخدم احتياجاتنا اللسانية من جهة ثالثة، لنستطيع من خلال ذلك كله مواكبة العصر بكل مواصفاته بلغة عربية أصيلة.

المحاضرة الثانية

نشأة اللسانيات العربية

1- مدخل:

إن اللغة بمفهومها العام قديمة قدم ظهور الإنسان، جذورها ضاربة في أعماق التاريخ، لذا فإن دراسة تاريخ أية لغة من اللغات يصعُب لعدم تحديد عصور هذه اللغة.

واللغة العربية مثل باقي اللغات ضاربة في القدم، أو قل هي أقدم اللغات المعاصرة، وبسطت نفوذها على رقعة شاسعة من الأرض، ودرجت على استعمالها أمم كثيرة، وهي مثل غيرها من اللغات لا نكاد نعرف شيئا مفصلا عن حياتها الأولى وإرهاصاتها الأولية.

ومثل باقي اللغات نشأت العربية ضعيفة محدودة في ألفاظها وتصرفاتها؛ لأن مظاهر الحياة آنذاك كانت محدودة وبسيطة بساطة الإنسان قديما، وعند كثرة متطلبات أهلها، وتشعب حاجياتهم، كثرت الألفاظ والتصريفات اللغوية وتشعبت، بل تعددت فيها اللهجات في أماكن متعددة في شبه الجزيرة العربية، وهنا يمكننا القول أنها دخلت مرحلة متقدمة من النضج والكمال، وبداية الدراسات اللغوية لدليل على ذلك.

2- التفكير اللساني عند العرب:

إذا كانت اللسانيات تعني الدراسة العلمية للغة فهي بهذا المفهوم برزت في الدرس اللغوي العربي منذ نشأته رغم اختلاف المصطلحات، فالعربية أو علم العربية أو علم النحو أو علم اللغة أو علم اللسان مصطلحات ترددت كثيرا في التراث اللغوي العربي للدلالة على دراسة اللغة العربية أو بعض جوانبها دراسة علمية منظمة.

ومصطلح "العربية" ظهر في النصف الثاني من القرن الأول الهجري للدلالة على دراسة اللغة العربية وعلمائها كأبي الأسود الدّؤلي وطبقة من قرّاء القرآن الكريم وصولا إلى "أبي إسحاق الحضرمي" (ت 117هـ)، "وعيسى بن عمر" (ت 149هـ)، "وأبي عمرو بن العلاء" (ت 154هـ)، و"الخليل" (ت 175هـ)، و"سيبويه" (ت 180هـ) و"يونس بن حبيب" (ت 189هـ)، هؤلاء العلماء درسوا اللغة العربية دراسة علمية منظمة تقوم على جمع المادة اللغوية وتحليلها واستقرائها من خلال رؤية

وصفية، ثم استخلاص النتائج وصياغتها في قواعد وقوانين، كما اتّسمت هذه الدراسات بالشمول؛ أي دراسة اللغة العربية صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا.

3- مجالات البحث اللساني عند العرب:

أحدث القرآن الكريم تحولا فكريا وحضاريا في البيئة العربية، ونشأت خلال ذلك حركة علمية بدأت بتدوين القرآن الكريم ودراسة العلوم الشرعية، مما أدّى إلى تأخّر البحث اللغوي إلى القرن الثاني الهجري، فبعد تدوين الحديث النبوي الشريف والتأليف في الفقه الإسلامي وتفسير القرآن اتجه العلماء نحو تسجيل العلوم غير الشرعية كاللغة والنحو.

وتتمثل المستويات اللسانية التي تناولها اللغويون العرب بالدراسة فيما يلي:

3-1/ المستوى الصوتي:

قد حظي الجانب الصوتي باهتمام خاص لدى الدارسين العرب القدامى على اختلاف توجهاتهم العلمية، فمنهم القرّاء والنحاة وعلماء الأصول وغيرهم، والاهتمام بالظواهر الصوتية كان هو الأساس الأول المعوّل عليه في وضع المعايير التأسيسية للنحو العربي، وخير دليل لتبرير ذلك قصة أبي الأسود الدؤلي مع كاتبه حينما همّ الأوّل بوضع ضوابط لقراءة القرآن الكريم إذ قال له: «إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة على أعلاه، فإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن اتبعتْ شيئا من ذلك غنّة فاجعل مكان النقطة نقطتين»[1]

لقد اهتم النحويون الأوائل بقضايا صوتية عدة شغلت صفحات عديدة في أمهات الكتب النحوية، و"الكتاب" لسيبويه أقدم الكتب النحوية وصولا إلينا، وقد ضمّ صفحات قيّمة في الدراسات الصوتية، إذ جعل البحث الصوتي وسيلة هامة من وسائل اللغوي؛ حيث فسّر عددا من الظواهر الصوتية كالإدغام والقلب...، وعند القرّاء وسيلة لوصف الظواهر الصوتية، والكتاب الأول وصولا إلينا الذي أُلّف في الدراسات الصوتية المحضة هو كتاب "سر صناعة الإعراب" لابن جني، حيث ضمّ مباحث صوتية هامة، ركّز فيها على موضوعات صوتية هامة، هي:

- عدد حروف الهجاء وترتيبها ووصف مخارجها.
- بيان الصفات العامة للأصوات وتفسيرها باعتبارات مختلفة.

1- أحمد مختار عمر البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، (ط6)، 1988، ص79-80.

- ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى إعلال أو إبدال أو إدغام أو نقل أو حذف.

- نظرية الفصاحة في اللفظ ورجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج.

وأسفرت هذه الدراسات الصوتية مع الرعيل الأول عن نتائج هامة وقواعد أساس، لا يمكن لدارس اللغة العربية أن يغفل عنها أو عن بعضها، ويمكننا أن نلخّص هذه النتائج فيما يلي:

- وضع أبجدية صوتية للغة العربية، رُتّبت أصواتها بحسب المخرج ابتداءً من أقصى الحلق وانتهاءً عند الشفتين.
- تسمية أعضاء النطق بأسمائها (رئة – حلق – حنجرة ...)، وتقسيم الحلق إلى (أقصى– وسط– أدنى)، واللسان إلى (أصل– أقصى– وسط– ظهر – حافة– طرف).
- تقسيم الأصوات إلى: شديدة ورخوة باعتبار مجرى الهواء، وإلى مجهورة ومهموسة باعتبار وجود رنين يصحب نطق الأصوات، وإلى صحيحة ومعتلة على أساس اتساع المخرج مع العلة دون الصحيحة.
- قسموا حروف العلة (أ و ى) إلى قصيرة وطويلة وأصول.
- الائتلاف بين الحروف وكيفية بناء الكلمة العربية.

3-2/ المستوى النحوي والصرفي:

دعت الضرورة الرعيل الأول من اللغويين العرب إلى إيجاد قواعد تُضبط الاستعمال اللساني للغة العربية، سُميت هذه القواعد والمعايير بالنحو، ولم تتمثل هذه البواعث في تفشّي اللحن، وخوف العرب من وقوعه في القرآن الكريم فحسب، بل هناك بواعث أخرى؛ ففهم النص القرآني والتعرّف على أسراره كان هدفا يتوخاه كل مسلم، وعلم النحو أحد العلوم المساعدة على ذلك، وحاجة المسلمين من غير العرب إلى تعلم العربية والتعبد بالكتاب المنزّل بها، والحرص على تعلمها أدى إلى ظهور هذا العلم.

وعلم النحو في بداياته كان يُقصد به الدرس اللغوي عموما على جميع المستويات، وبعد فترة كثُرت العلوم اللغوية وتشعبت، فأصبح هو العلم الذي يُعرف به أواخر الكلم إعرابا وبناءً، وهو الإعراب في معناه الضيّق، والدلالات في معناه الشامل.

أما علم الصرف فهو العلم الذي يبحث في بنية الكلمة (صورتها) والتغيّرات التي تلحقها من حيث الحركات والسكنات وعدد حروفها.

3-3/ المستوى المعجمي:

إن حركة تأليف المعاجم بدأت في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري مع الرسائل والموضوعات المألوفة، وقد تبلور المعجم الذي نعرفه اليوم على يد "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت 175هـ) في كتابه "العين"، وتابع بعده كثير من العلماء في تأليف المعاجم إلى عصرنا هذا، مقلدين إلى حدّ كبير في المنهج وطريقة التبويب والمادة المعجمية.

وتتحدّد وظائف المعجم فيما يلي:

- شرح الكلمة وبيان معناها أو معانيها عبر العصور.
- بيان كيفية نطق الكلمة وضبطها بالشكل.
- تحديد الوظيفة الصرفية للكلمة.
- تحديد مكان النبر في الكلمة.

وقد اختلفت المعاجم وقُسّمت أقساما حسب طريقة تبويبها (ترتيبها)، فمنهم من رتّبها ترتيبا مخرجيا، ومنهم من رتّبها ترتيبا أبجديا، ومنهم من رتّب كلماتها حسب الموضوعات.

ومن أهم المعاجم العربية نذكر ما يلي:

- معاجم الألفاظ كمعجم العين للخليل، وتهذيب اللغة للأزهري.
- معاجم المعاني كالمخصص لابن سيّده.
- معاجم مرتبة ألفبائيا حسب أوائل الكلمات ومنها: الجمهرة لابن دريد، وأساس البلاغة للزمخشري.
- معاجم مرتبة ألفبائيا حسب أواخر الكلمات كتاريخ اللغة للجوهري.

3-4/ المستوى الدلالي:

كان لظهور الإسلام ونزول القرآن أثر بارز في الحياة الاجتماعية والثقافية للعرب، فالقرآن تحدّاهم في بيانه وإعجازه رغم أنهم كانوا فطاحل في اللغة والبيان والشعر، فقامت بذلك دراسات عدّة حول

هذا الكتاب المعجز تبحث في دلالات ألفاظه ومعانيها، فتعددت وتنوعت وتأسست على منهج وصفي استقرائي قصد تحديد المعاني التي يتوقف على فهمها فهم كتاب الله عزّ وجلّ.

بدأت الدراسات الدلالية العربية بهذا المفهوم في القرن الثالث الهجري، وامتدّت طيلة القرون الرابع والخامس والسادس الهجرية، واستمرت بعد ذلك، وهذا دليل على أن الدرس الدلالي بدأ مبكرا مع سائر العلوم اللغوية، وهذا يعني التطور والنضج الذي أحرزته اللغة العربية.

ومن الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب في علم الدلالة تسجيل معاني الغريب في القرآن، والحديث عن مجاز القرآن الكريم، والتأليف في الوجوه والنظائر في القرآن، وحتى ضبط المصحف بالشكل يُعدّ في حقيقته عملا دلاليا وإن تقاطع مع النحو والصرف؛ لأن تغيير الضبط يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة وبالتالي تغيير المعنى.

وقد تعددت الدراسات الدلالية وتنوعت حسب زاوية نظر المؤلفين وانتماءاتهم العلمية، ويمكن تلخيص هذه الاهتمامات فيما يلي:

أ) <u>اهتمامات اللغويين:</u>

كانت جهود اللغويين القدامى في الدراسات الدلالية تصب في مجال واحد وهدف واحد؛ ألا وهو تحديد المعاني اللغوية للألفاظ والتراكيب معتمدين في ذلك على ما وصلت إليه البحوث اللغوية نحوية كانت أم صرفية أم حتى معجمية، ومن بين هذه الاهتمامات نذكر ما يلي:

- ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها، ومن ذلك محاولة ابن فارس في معجمه المقاييس.
- التفرقة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية، ومن ذلك محاولة الزمخشري في معجمه أساس البلاغة.
- ربط التقلبات الممكنة للمادة الواحدة بمعنى واحد، ومن ذلك محاولة ابن جني.

ب) <u>اهتمامات الأصوليين وعلماء الكلام:</u>

تمثّلت جهود هؤلاء في الدرس الدلالي في موضوعات كثيرة منها: دلالة اللفظ، ودلالة المنطوق والمفهوم، تقسيم اللفظ من حيث الظهور والخفاء، ومن حيث العموم والخصوص، ومن حيث الترادف والتضاد والاشتراك ودلالات التضمن.

ومن المؤلفات في ذلك مؤلفات الفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالي ...

ج) اهتمامات البلاغيين:

أولى البلاغيون أهمية كبرى للدلالة في دراساتهم اللغوية، بل كانت الدلالة أساسها في دراسة الحقيقة والمجاز وأسهبوا في ذلك، وفي دراسة الأساليب اللغوية ومعانيها وأغراضها كالأمر والنهي والاستفهام والتعجب ... وغيرها من الأغراض.

ومن أهم الدراسات الدلالية عند البلاغيين القدامى نظرية النظم للجرجاني التي تُعدّ أهم ما وصلت إليه هذه الدراسات، إذ مازالت مباحثها تُدرس إلى اليوم، كما كانت عناية البلاغيين بالمعنى السياقي وعلاقة المقال بالمقام فائقة.

4- خلاصة:

كان همّ علماء العربية القدامى دراسة اللغة العربية وحدها، لما لها من صلة بالقرآن الكريم فهما وأداءً، ولم يكن همّهم دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، فهي نظرة تختلف عن النظرة اللغوية الحديثة في أصولها وأهدافها، ومردّ ذلك أن الدرسين يختلفان اختلافا جذريا في ظروف نشأتهما المعرفية والتكنولوجية.

إلا أنه يمكننا الحكم على هذا الدرس اللغوي القديم بوصفه أرضية خصبة لنشوء الدرس اللغوي الحديث خاصة الدرس اللساني العربي، لأن اللسانيات عموما لم تنشأ من فراغ إنما استندت على دراسات تاريخية كثيرة.

المحاضرة الثالثة

تطور اللسانيات العربية

1- مدخل:

إذا كان الدرس اللغوي نشأ مبكرا نشأة دينية، فإنه استمر بعد ذلك، وتشعبت مسائله وفروعه، وامتدّ قرونا طويلة وصولا إلى عصرنا هذا، وقد مرّ بمراحل عدّة تطور فيها هذا الدرس، واتّخذ أشكالا متنوعة وأقساما متعددة، وسنتتبع مراحله هذه بعرض أهم الدراسات في المستويات اللغوية.

2- الدراسة الصوتية:

نشأت الدراسات الصوتية ضمن الدرس اللغوي العربي بوصفها جزءا من الدراسة النحوية أو علم النحو مع محاولة "أبي أسود الدّؤلي" وضع رموز صوتية للحركات في القرآن الكريم، لكنها لم تنضج إلا مع "الخليل" و"سيبويه"، وكان ما كتبه "سيبويه" عن الأصوات هو المرجع الأساس الذي اعتمد عليه الدارسون العرب فيما بعد، ولقد اهتم الخليل وسيبويه بعلم الأصوات من حيث النطق، وقسّما الأصوات حسب مخارجها، وحدّدا أهم صفاتها معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي الذي يعتمد أساسا على استقراء فونيمات اللغة العربية، وقد اعتمد الخليل في وصفه هذا على ما كان يحسّه بنفسه من اختلاف في أوضاع النطق، وعلى العملية العضلية التي يقوم بها لدى صدور كل صوت، وعلى وقع هذا الصوت في أذن السامع دون أن يكون لديه شيء من الإمكانيات الحديثة، أو معرفة بنظريات التشريح الصوتي.

وفي القرن الرابع الهجري أخذت الدراسة الصوتية على يد ابن جنّي مرحلة الاستقلال بما كتبه في مؤلفه "سر صناعة الإعراب" من بحوث صوتية لم يكتفِ فيها بجمع آراء سابقيه، إنما كانت له توضيحات وإضافات وشروح كثيرة، جعلته المصدر الوافي لمن يريد معرفة التفكير الصوتي عند العرب.

وقد فرّق ابن جنّي وقبله سيبويه بين "الفونيم والفون" أي الدراسة الصوتية، وسمّى النوع الأول بالحروف الأصول؛ وتشمل كل حروف العربية، وسمّى النوع الثاني بالحروف الفروع؛ وهي تشمل التغيّرات الصوتية للفونيم الواحد كالإمالة والتفخيم...، وبهذه التفرقة تكون الملاحظات الخاصة

بالدراسة الفونولوجية قد بدأت على يد العلماء العرب قبل أن يعرفها العالم الحديث على يد مدرسة "براغ" بفضل جهود "تروبتسكوي" بما يزيد عن ألف عام.

وفي القرن الخامس الهجري تقدّم البحث الصوتي خطوة أخرى إلى الأمام على يد العالم اللغوي "ابن سينا" (ت 428هـ) بما قدّمه في كتابه "أسباب حدوث الحروف"، حيث تناول فيه الصوت الإنساني بوصفها ظاهرة طبيعية من الناحية الفيزيائية، فوصف الصوت الثقيل والحاد والأملس والصلب والمتخلخل...، كما تناول بعض المسائل التي تتعلق بعلم الأصوات السمعي أو الإدراكي، بالإضافة إلى اهتمامه الواضح بالناحية الفيزيولوجية خاصة ما يتعلق من ذلك بتشريح الحنجرة واللسان وغيرها من أعضاء النطق.

ولم يقتصر ابن سينا في كتابه على وصف الأصوات العربية فحسب، إنما أضاف إليها وصفَ ما سمعه من أصوات غير عربية، تنتمي إلى لغات أخرى ذكر منها الفارسية، حيث قارن بينها وبين الأصوات العربية (علم الأصوات العام والمقارن).

وعموما لم يقتصر البحث الصوتي عند العرب على النحويين واللغويين وعلماء الطبيعة فحسب، بل تناوله علماء التجويد وعلماء البلاغة.

أما في العصر الحديث فكثرت المؤلفات في البحث الصوتي، وإستعان مؤلفوها بالمناهج الحديثة، وبما توصّل إليه القدماء من نماذج في دراساتهم لأصوات العربية، نذكر منها "الأصوات اللغوية" لإبراهيم أنيس، و"أصوات اللغة" لعبد الرحمان أيوب، و"علم اللغة العام–الأصوات" لكمال بشر و"علم الصوتيات" لعبد الله ربيع وعبد العزيز علام.

ورغم كل هذه الجهود والدراسات الصوتية منذ نشأة الدرس اللغوي العربي قديما ووصولا إلى عصرنا هذا يبقى مجال علم الأصوات فسيحا لمن أراد الدراسة فيه، فكثير من المباحث والقضايا الصوتية مازالت تحتاج إلى بحث دقيق ومعمق، لأن اللغة تتطور صوتيا كما تتطور دلاليا، ولعل ظهور اللهجات من حين إلى آخر لدليل على ذلك.

3– <u>الدراسة النحوية:</u>

لم تكن الدراسات اللغوية الأولى تفصل بين النحو والصرف، بل تعدّهما جزأين من كلٍّ واحد، لذا فإن معالجة البحوث الصرفية والنحوية تكون معاً، فالنحو كما يقول ابن جنّي: «هو انتحاء سمت

كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك»[1]

لا شكّ في أن بداية التفكير النحوي كان في صدر الإسلام على اختلاف الروايات التاريخية في نسب أولى الملاحظات (علي بن أبي طالب – أبو الأسود الدّؤلي ...) وهي نشأة مبكرة.

وفي أوائل القرن الثاني الهجري كانت مسائل النحو قد استقرّت إلى درجة النقد، فينسب إلى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117هـ) تفريع النحو وقياسه، بالإضافة إلى من عاصروه ومن جاءوا بعده كيونس بن حبيب وعيسى بن عمر الثقفي وأبو الخطاب الأخفش.

وفي النصف الثاني منه انقسم النحاة إلى مدرستين؛ لكل منهما منهجها الخاص في البحث النحوي هما: مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، حيث نشأ النحو في أكناف علماء البصرة، وأخذ عنهم أهل الكوفة في البداية، ومن بعد استقلوا عنهم نتيجة للعوامل السياسية والاجتماعية، وقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي أشهر رجال المدرسة الأولى، ولقد اعتمد الخليل في تأصيله لقواعد النحو على السماع والتعليل والقياس.

وبعد الخليل حمل لواء المدرسة البصرية أفذاذ من العلماء من أمثال سيبويه (180هـ) والمبرد (285هـ) والزجاج (311هـ) وأبو علي الفارسي (377هـ)، وقد سارت المدرسة على النهج الذي خطّه الخليل وسيبويه وهو منهج يصفه الباحثون بأنه مدرسي نظري.

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري أخذت المذهبية تضيق بين المدرستين نتيجة وجود جيل جديد من العلماء لم يتأثر بالعصبية السابقة، فأخذ من المذهبين وشكّل بذلك مدرسة جديدة أطلق عليها اسم "مدرسة بغداد" وكان ابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ) أول رجالها، وأهم ما ميّز هذه المدرسة أنها عمدت إلى اختيار مزايا المدرستين السابقتين وتوحيدها في مذهب واحد، وتمكنوا من العثور على قواعد أخرى لا تمت بصلة إلى المذهبين السابقينمن خلال اجتهاداتهم الخاصة سماعا وقياسا.

1- ابن جني، الخصائص، تح: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج1، (د، ط)، (د.ت)، ص 45.

وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري لما استولى "بنو بويه[1]" على بغداد توقف نشاط المدرسة، لكن عجلة البحث النحوي لم تتوقف، بل واصلت مسيرتها في فارس والشام ومصر والأندلس، وحمل لواء هذا البحث في هذه الأقطار مجموعة من العلماء أطلق عليهم اسم "النحاة المتأخرون" كالزمخشري وابن يعيش وابن الحاجب وابن مالك وابن هشام، وهم لم يخرجوا في الغالب على ما أصّله النحاة المتقدمون وإن زادوا عليهم في مسائل التبويب والتفريع وعرض المادة النحوية عرضا جديدا.

أما في العصر الحديث استمر البحث النحوي على خطين متوازيين إن لم نقل متقاطعين أو متعامدين، فظهر تيار ثائر على النحو القديم داعيا إلى تجديده، وكان "إبراهيم مصطفى" في كتابه "إحياء النحو" أول المنادين بذلك، ثم توالت بعده محاولات عدّة تصدّى لها تيار غيور على التراث النحوي الأصيل الذي خلّفه أسلافنا ليس بدافع التعصّب للقديم فحسب، إنما لما اعترى هذه المحاولات من نقص وقصور، وعجزها الواضح عن تقديم بديل مقبول لما أصّله القدماء.

ومن المعلوم أن بحث النُّظم الصرفية والنحوية عند العرب يختلف عن بحثها عند الغربيين، لأن هذا الأخير قام أساسا على دراسة تختلف اختلافا جذريا وجوهريا عن اللغة العربية، ومع ذلك فإن مقارنة النتائج التي وصل إليها العلماء العرب سبقت ما وصل إليه العلماء الغربيون حديثا، بل وتفوق ذلك في بعض النواحي، ومن تلك النتائج نذكر على سبيل المثال لا الحصر مايلي:

* فكرة الميزان الصرفي التي استخدمها العلماء العرب لبيان الحروف الأصلية والحروف الزائدة منذ عهد الخليل هي فكرة رائدة، يستطيع الباحث اللغوي من خلالها أن يبيّن وحدة البناء الأصلية (جذر الكلمة)، والوحدات الأخرى التي تدل على معانٍ صرفية كالألف في اسم الفاعل، أو على معانٍ نحوية كالواو أو الياء في جمع المذكر السالم، وهذا ما يسمّيه المحدثون بالنظام المورفيمي للغة؛ أي الوحدات التي تدخل في بناء الكلمة، وقد اجتهد النحاة

1- بنو بويه: سلالة من الديلم (جنوب بحر الخزر)، حكمت في غرب إيران والعراق، ينحدر بنو بويه من أعالي جبال الديلم، ويرجعون في نسبهم إلى ملوك الساسانية، استمدوا اسمهم من "أبو شجاع بويه"، والذي لمع اسمه أثناء عهد الدولتين السامانية ثم الزيارية، استطاع ثلاثة من أبنائه الاستيلاء على السلطة في العراق وفارس. (موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%88%D9%8A%D9%87%D9%8A%D8%A9)

العرب منذ القرن الثاني الهجري في حصر الأبنية والصيغ المختلفة التي تتشكل منها صور الكلمات في اللغة العربية، وقسّموها إلى أبنية الأسماء وفروعها وأبنية الأفعال وفروعها.

* أدرك العلماء العرب أن هناك أنواعا من الوحدات الصرفية لا تُستعمل إلا متصلة بغيرها كياء المتكلم، وأخرى لا تُستعمل إلا منفصلة كالضمير "نحن"، وثالثة تُستعمل متصلة ومنفصلة كالضمير "هم"، كما ميّزوا بين العلامات الإعرابية التي تتغير نتيجة لتغير موقع الكلمة الإعرابي مثل الألف في المثنّى رفعا والياء نصبا وجرًّا، وبين العلامات الصرفية المحضة التي تكون عنصرا في بناء الكلمة غير متأثّرة بموقعها الإعرابي كالميم والواو في اسم المفعول، وهذا يتفق مع التقسيم الحديث للوحدات الصرفية.
* استطاع الباحثون العرب تحديد أشكال الصيغ وحصر اللواحق وأماكن إلحاقها، والزيادات وأماكن زيادتها، ثم ما يلحق الصيغ من إعلال أوإبدال أو قلب أو حذف، وهذه الشعبة من دراسة اللغة ونتائجها المبهرة ميّزت الصرفيين العرب بمكانة لا تدانيها مكانة في عالم اللغويين قديما وحديثا، ولا تزال هذه الدراسات في النظام الصرفي العربي موضع الإعجاب والاحترام.
* فيما يتعلق بتحليل الجملة وهو ما يسمّيه علماؤنا "إعراب الجمل" يراعي النحاة العرب أمرين، هما: وظيفة الكلمة النحوية أي كونها فاعلا أو مفعولا...، والوصف الشكلي من حيث كونها اسما أو فعلا أو حرفا، بالإضافة إلى بيان حركة الإعراب بوصفها رمزا للعلاقة بين أجزاء الجملة، وهذا يتفق مع أحدث الاتجاهات في التحليل اللغوي الذي يسمّى "Tagmèmic"؛ أي التحليل النحوي للجملة بمراعاة الشكل والوظيفة معا.

إن جهود القدماء العرب وسبقهم العظيم لا ينبغي أن يبهرنا إلى الدرجة التي لا نرى فيها الأخطاء المنهجية التي وقع فيها البحث النحوي، حيث ترتب عليها صعوبات جمّة على اللغويين المحدثين في تذليلها، وتخليص هذا التراث مما علق به من شوائب، ومن ذلك أن النحاة نظروا إلى العربية التي نزل بها القرآن الكريم ونُظّمت بها الأشعار، واللهجات التي كان يتحدّث بها أبناء القبائل المختلفة منذ العصر الجاهلي وحتى نهاية عصر الاحتجاج (منتصف القرن الثاني الهجري) وحدة واحدة، ومن هنا وصل الاختلاف والاضطراب في أكثر الأحكام النحوية (عدم وجود حكم واحد لا تعارض فيه ولا خلاف)، بالإضافة إلى أن النحاة العرب لم يكتفوا بوصف الأساليب العربية، إنما تجاوزوا ذلك إلى

وضع معايير للصواب والخطأ، فإذا كان التعبير الذي لا ينسجم والقاعدة العامة –وهو من الكلام الذي لاشكّ في فصاحة قائله– اِلتمسوا له حينئذ ضُروبًا من التأويل لا تتسق مع الواقع اللغوي، وهذا الأمر يتعلق بالمنهج.

ولعل تشعب طرائق البحث في النحو راجع إلى الظروف الثقافية والسياسية وحتى اللغوية، فقد نشأت مدارس عديدة في دراسته في البصرة والكوفة وبغداد والأندلس ومصر، حيث كان لكل مدرسة منها مذهبها ومنهجها في دراسة اللغة وتحليل نصوصها واستخراج ما فيها من قواعد نحوية، وكانت المنافسة تشتدّ أحيانا بين علماء تلك المدارس، فيعم الجدل وتنتشر المناظرات، وقد يخرج الأمر عن حدّ البحث والنظر العلميين، ليدخل دائرة المنازعات الشخصية، وكم جرّ ذلك من وبال على النحو.

وعموما فإن علماء العربية قدّموا جهودا خالدة وأفكارا عميقة، وضمنوا ذلك في مؤلفات منظمة وبحوث مرتّبة، إلا أنه يُؤخذ على تفكيرهم النحوي بشكل عام مآخذ عدة، نذكر منها ما يلي:

* الاقتراب بصورة كبيرة من المناهج الفلسفية والمنطقية التي وفدت إليهم من تراث اليونان.
* اِتّسامهم بالمعيارية في كثير من المباحث اللغوية، فهم لا يصفون واقع النظام اللغوي، إنما يفرضون بعض القواعد، فإذا ما وجدوها غير سارية في بعض النصوص لجأوا إلى التقدير والتأويل، وإذا لم يجدوا ذلك وصفوها بالشذوذ والخروج عن النظام العام رغم أن هذه النصوص من أصحّ ما يُنسب إلى العربية.
* الأخذ عن أكثر من قبيلة، واِلتقاط الشواهد من كل مستوى لاستنباط القواعد تجعل معظمها غير خالية من مظاهر الشذوذ.

وقد أثمر كل ذلك نحوًا كثيرَ العلل، متشعب التقسيمات، متعدد التأويلات، لا نكاد نظفر فيه بعد فترة سيبويه ونظرائه إلا بما هو مبهم ومستشكل، إلا أن هذا لا يؤدي إلى إنكار فضل هؤلاء النحاة من العرب، وإذا كانوا قد تأثّروا بثقافة عصورهم وبالمناهج الفلسفية التي سادت فيها فإنه من دون شكّ على الرغم منهم فالإنسان ابن بيئته.

وواجبنا نحن الآن هو دراسة هذا التراث الضخم والكنز الثمين، والكشف عمّا فيه من شوائب فنستبعدها ليبقى الخالص بما ينفع لغتنا ويعاون على حفظها.

4- الدراسة الصرفية:

نشأ التفكير الصرفي بادئ الأمر في أحضان الدراسات النحوية، فساير الصرف النحو، ولم يتخلف عنه حتى وإن كان لبعض النحويين هوى خاص بعلم الصرف، فاشتهروا به كشهرة معاذ بن مسلم الكوفي (ت187 هـ) في صياغة الأبنية ومسائل التمارين، كما كانت هناك مسائل خاصة جعلت النحويين يقبلون على الصرف، ولهذا لا نعجب إن رأينا اسم النحو يستعمل في مسائل النحو والصرف، لأن مسائل الصرف نشأت لخدمة النحو.

5- الدراسة الدلالية:

لقد بذل العلماء الأوائل جهدا منقطعَ النظير في جمع ألفاظ اللغة العربية وإحصاء مفرداتها وتسجيل معانيها، فهم لم يدّخروا جهدا في اتّباع المناهج السليمة والطرق الصحيحة في جمع تلك الثروة الهائلة من الألفاظ والاستعمالات اللغوية، وفي ذلك مقولة مشهورة لأحدهم معبّرا عن قاعدة هامة في أصول الجمع اللغوي وأخذ العيّنات، مفادها: "إذا أردت أن تنتفع بالأعراب فاستغلهم؛ أي اسمع لغاتهم من غير مسألة"، وهذا دليل قاطع على أن الفكر العربي آنذاك كان منهجيا منهجية دقيقة، ويدرك الفرق بين أخذ العينة اللغوية بصورتها الطبيعية التي تتمثل فيها شخصية القائل دون تكلف ومسرح الكلام دون تنميق وتزيين، وبين أخذها عن طريق السؤال المباشر الذي يوحي بالتكلف والصنعة، ويضيع بذلك ركن هام من أهم أركان العملية الكلامية ألا وهو "المقام".

6- الدراسة المعجمية:

تنوعت حركة التأليف المعجمي واختلفت في مجالات شتّى، وما يهمّنا هنا هو المعاجم اللغوية باختلافها التي تدرس اللغة بذاتها، وهي تكون ثنائية ومتعددة وأحادية:

فمن المعاجم المتعددة ما صنعه أحمد بن محمد بن عرب شاه (ت 854هـ) في معجمه "منتهى الأرب في لغات الترك والعجم والعرب" وهو معجم عربي تركي فارسي.

ومن المعاجم الثنائية ما كتبه أبو عبد الله الحسين بن علي الزّوزني (ت 486هـ) في كتابه " المصادر"، والزمخشري (ت 538هـ) في كتابه "مقدمة الأدب" وهما معجمان للأبنية يتناولان اللفظ العربي ومرادفه الفارسي.

أما المعاجم الأحادية فكثيرة ومتنوعة، وهي إما خاصة بموضوع من الموضوعات أو عامة، يدخل في النوع الخاص ما كتبه الفرّاء (207هـ) في كتابه "الأيام والليالي والشهور"، وما كتبه أبو زيد الأنصاري (ت215هـ) في مؤلفه "النوادر في اللغة"، والأصمعي (ت216هـ) في كتابه "النبات والشجر" وأبو الطيب اللغوي (ت 350هـ) في "شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة"، ويدخل في هذا النوع أيضا ما كتبه العلماء في غريب القرآن كأبان بن تغلب بن رباح البكري (ت 141هـ) وغيره، وما كتبه العلماء في غريب الحديث كابن قتيبة (ت 276هـ) وابن الأثير (ت 606هـ).

أما المعاجم العامة فيمكن تقسيم الجهود فيها إلى قسمين:

* **الأول:** وتسمى بالمعاجم المبوبة، وهي جامعة للمعاني والموضوعات، ومن كتبوا في هذا النوع ابن السكيت (ت 244هـ) في كتابه "الألفاظ"، وابن قتيبة في " أدب الكاتب"، وابن سيّده (ت 458هـ) في "المخصص".
* **الثاني:** وتسمى بالمعاجم المجنسة أو اللفظية وتنقسم بدورها إلى مدارس، نذكر منها:

- المدرسة الأولى: تسمى بمدرسة التقليبات الصوتية، وهي التي أرسى الخليل بن أحمد الفراهيدي دعائمها في كتابه "العين" وتبعه أبو علي القالي (ت 356هـ) في "البارع"، وأبو منصور الأزهري (ت 370هـ) في كتابه "تهذيب اللغة"، والوزير الصاحب بن عباد (ت385هـ) في "المحيط"، وابن سيّده في "المحكم" و"المحيط الأعظم".
- المدرسة الثانية: تسمى بمدرسة التقليبات الهجائية، ويتزعمها أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد (ت 321هـ) في معجمه "جمهرة اللغة"
- المدرسة الثالثة: تسمى بمدرسة القافية، وسبب هذه التسمية هو جعل الحرفِ الأخير باباً، والحرف الأولِ فصلاً على حسب حروف الهجاء، وذلك لصعوبة البحث في المعاجم التي اتبعت نظام التقليبات بنوعيها الصوتية والأبجدية؛ فأراد أصحاب مدرسة القافية تيسير البحث عن الكلمات، ويقف على قمتها إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت393هـ) في كتابه "تاج اللغة وصحاح العربية"، وتبعه الحسن بن محمد الصاغاتي (ت 650هـ) في مؤلفه "العباب الزاخر واللباب الفاخر"،

والفيروزآبادي (ت 817هـ) في معجمه "القاموس المحيط"، والزبيدي (ت 1205هـ) في كتابه "تاج العروس من جواهر القاموس"، والشيرازي (ت 1273هـ) في مؤلفه "معيار اللغة".

- المدرسة الرابعة: تسمى بالمدرسة الهجائية العادية أو الأبجدية العادية، اتبع أصحابها في ترتيب مواد المعجم على أساس ترتيب الألفاظ حسب الحرف الأول والثاني والثالث وفق ترتيب الحروف الأبجدية أو الألفبائية، وسبب هذه التسمية جاء وفق ترتيب الأبجدية المعروف قديما (أبجد هوز...)، أو وفقا لما لحقه من تطور شكلي في ترتيب الحروف إلى النظام الألفبائي، وهذه الطريقة أيسر من السابقتين: طريقة التقليبات، والقافية، ويتزعم هذه المدرسة أبو عمرو الشيباني (ت 206هـ) في معجمه "الجيم"، وأحمد بن فارس (ت 395هـ) في معجميه "مجمل اللغة" و"مقاييس اللغة"، والبرمكي (ت 411هـ) في "المنتهى في اللغة" والفيومي (ت770هـ) في كتابه "المصباح المنير"، وبطرس البستاني (ت1883م) في معجمه "محيط المحيط"، ولويس المعلوف اليسوعي (ت1908م) في مؤلفه "المنجد في اللغة"، وسعيد الشرتوني (ت1912م) في كتابه "أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد"، ومجمع اللغة العربية القاهري المعاصر في المعاجم "الوجيز" و"الوسيط" و"الكبير".

7- الدراسة الأسلوبية:

ويخدم هذه الدراسة علم البلاغة بشعبه الثلاث: بيان ومعان وبديع، وبدأت هذه الدراسات ضمن الدراسات اللغوية، وكان لمجموعة من العلماء جهد منقطع النظير في إبراز خصائص النظم في أساليب العربية منهم الجاحظ (ت 255هـ) وقدامة بن جعفر (ت337هـ) وأبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت 371هـ) والرّماني (ت 384هـ) وأبو هلال العسكري (ت 395هـ) والقاضي عبد الجبار (ت 415هـ).

أما عبد القاهر الجرجاني (ت474هـ) صاحب "كتاب دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" فقد وقف على النظم في أكمل درجاته وحدّد أساليبه، وجاء بعده علماء كثر كتبوا في الدراسات البلاغية بأساليب لم ترق لمستواه متأثرين بالمنطق والفلسفة كما فعل السكاكي (ت626هـ) في كتابه "مفتاح العلوم" والخطيب القزويني (ت739هـ) في كتابه "تلخيص العلوم".

ولم تتوقف الدراسات البلاغية عند هذا الحد بل تواصلت فيما بعد بوصفها علما مستقلا برأسه، رغم أنها جزء من علم اللغة العام، وأصبحت تعرف هذه الدراسات في عصرنا هذا بالدراسات الأسلوبية أو علم الأسلوب.

8- <u>الدراسات المتصلة بالعروض والقافية:</u>

ظهرت هذه الدراسات منذ القرن الثاني الهجري على شكل بحوث هامة تتعلق بأوزان الشعر وبحوره ودراسة قوافيه، وأوّل البحوث في ذلك هي دراسة الخليل بن أحمد الفراهيدي حيث تُعدّ الأساس الذي اعتمده كل من أتى بعده.

ولا شك أن للأوزان الشعرية وقوافي الأبيات علاقة هامة بالنظامين الصوتي والصرفي للغة، فهي بذلك من الروافد الهامة التي تمدّ البحث اللغوي بمادة لا غنى عنها، ومجال خصب للبحث والتنقيب فيه للكشف عن أغواره وأسراره، وقد بذل المحدثون جهودا معتبرة في هذا المجال، منها "موسيقى الشعر" لإبراهيم أنيس و"القافية أصوات اللغة" لعوني عبد الرؤوف، وكتب رمضان عبد التواب عن أثر الوزن الشعري في أبنية العربية في كتابه "فصول في فقه اللغة".

9- <u>خلاصة:</u>

إن الجهود العربية المتعلقة بعلم اللغة العام أو الخاص "فقه اللغة" قد بدأت في صورة مسائل متناثرة في كتب الأوّلين كالخليل وسيبويه والفراء وابن السراج وغيرهم، ثم ظهرت بصورة أوضح عند ابن فارس في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها" وابن جنّي في "الخصائص"، ثم تناثرت من جديد في الكتب والدراسات اللغوية مثل ما نجده عند ابن سيده في "المخصص" والثعالبي في "فقه اللغة وسر العربية"، ثم عادت فجُمعت مرة أخرى عند السيوطي في كتابه "المزهر في علم اللغة وأنواعها".

المحاضرة الرابعة

الفكر اللساني في التراث العربي

(المدارس)

مدخل:

نشأت الدراسات اللغوية العربية مبكرا مع نشأة علم النحو أو علم العربية أو علم اللسان، وهي مصطلحات تدل على أن هذه النشأة كانت علمية، الغرض منها الكشف عن قواعد اللغة العربية واستعمالاتها لغاية تعليمها واستعمالها استعمالا صحيحا.

ورغم أن العلماء العرب اتخذوا لغتهم العربية مادة لدراساتهم وآرائهم إلا أنهم كانوا موضوعيين إلى حدّ كبير، ومن جهة أخرى كانت دراساتهم للغة دراسات وصفية، وكانت أكثر عمقا بحيث يمكن أن تُعدّ مدارس حقيقية، وسنعرض أهمها باختصار:

1- المدرسة البيانية:

كان من الأصحّ أن نطلق على المدرسة البيانية (البيانية التبيينية) حتى نلتزم بتسمية الجاحظ لكتابه "البيان والتبيين"، ورغم أن الجاحظ كان بإمكانه الاستغناء عن النصف الثاني من العنوان الذي أراده أن يتّبع البيان، الشيء الذي جعله يجتهد لاستيعاب مدارك الكلام، لأن البيان إن كان يعبّر عن ظاهرة لسانية إنسانية تمثّل رسالة حملها الإنسان من الله تعالى، فهي إذًا ظاهرة غيبية، أما التبيين فموضوع من الجاحظ لوصف العلاقات اللسانية التي تجمع بين المتكلم والمخاطب، وتنقل البيان إلى بلاغة، والكلام إلى رسالة مع ما تتضمنه الرسالة من إلقاء وتلقٍ ورموز وحال ومقال ومقام كما تشرحه اللسانيات الحديثة اليوم.

إن حقيقة الكلام وكيفية إنشائه وتطويره وعلاقته بالإنسان منذ بدء الخليقة إلى أن صار بلاغة في سياسة الكون ضمنها الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" و"الحيوان"، وقد اعتمد في ذلك على ما جاء في القرآن الكريم.

لخص الجاحظ أنواع الدلالات في خمسة عناصر؛ هي اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم النصبة، وهذه العناصر عنده منبثقة بعضها من بعض في تطور مستمر وصولا إلى الصيغة النهائية

أو ما يسمى بالعالم الصغير أو النهائي، فاللفظ ينحدر من الإشارة والإشارة من العقد والعقد من الخط والخط من النصبة.

هذه الدلالات في حقيقتها هي عملية إنشاء الكلام منذ أن كان فكرة في ذهن الفرد إلى أن صار كلاما ملموسا، الأمر الذي تعبر عنه اللسانيات الحديثة بالبنية العميقة والبنية السطحية وعمليات التوليد والتحويل.

2- مدرسة النَّظْم:

النظم عند الجرجاني هو كيفية تركيب الكلام انطلاقا من الجملة البسيطة وصولا إلى النظم القرآني في تراكيبه الإعجازية الصوتية والنحوية والبلاغية والدلالية، وهو تأليف الحروف والكلمات والجمل تأليفا يسمح للمتكلم والسامع معًا أن يرتقيا إلى مدارك الإعجاز في المعاني، علما أن المعاني غير محدودة تملأ الكون واختيار تركيب معين في النص كاختيار مسلك من المسالك في البِرّ والبحر، وقد يؤدي هذا بالسالك (المتكلم) إما إلى الوصول إلى الغاية التي يقصدها في بِرّ النجاة (المعاني المقصودة) أو إلى الضلال (معان غير مقصودة)، فالنظم في الكلام كالبناء في العمارة أو كالنسج في معاقد النسب والشبكة، فمعاقد النسب تُبرم الخيوط التي تذهب طولا، ومعاقد الشبكة تبرم الخيوط التي تذهب عرضا، فإذا نُسجت خيوط الطول في خيوط العرض حصل النظم.

ومن الأسس العلمية التي قامت عليها هذه المدرسة ما يلي:

- توخي معاني النحو.
- لا فصاحة للكلمة المفردة.
- التفريق بين اللفظ والمعنى وتوضيح حدّ كل منهما.
- مراعاة الجانب النفسي والعقلي في تأليف الكلام.
- التأليف بطرق التعلّق.

ومن المفاهيم الأساسية التي تميّزت بها هذه المدرسة نذكر التعلّق والاستعارة والأسلوب والنظم والإعجاز القرآني.

3- المدرسة الشمولية:

لقد احتل السكاكي مكانة مرموقة في الدرس اللغوي العربي بآرائه المتميّزة في كتابه "مفتاح العلوم"، حتى صارت مرجعا للدارسين والباحثين، جعلته أكبر مدرسة لسانية في العربية من حيث الاتساع والشمول، حيث صنّف العلوم اللسانية وأسّس لها بقواعد اللغة.

والتطور يشمل فرعين؛ النحو والصرف، يرتقي النحو والصرف إلى درجة البلاغة، فيخلف علمُ المعاني النحوَ، ويخلف علمُ البيان الصرفَ، ويخلف مقتضى الحال في البلاغة مقتضى الوضع في النحو، ثم يرتقي من البلاغة إلى علم الأسلوب في مستوى علم البديع، فتخلف المحسناتُ المعنوية المعاني، وتخلف المحسناتُ اللفظية البيانَ، وهذا الانتقال من البيان والمعاني إلى البديع يُعرف الآن بالانتقال من البلاغة إلى علم الأسلوب، الذي أصبح علما قائما برأسه.

وبعد البديع يرتقي الكلام إلى مرتبة الشعر مع العروض والقافية، فيخلف العروضُ التراكيبَ النحوية والمعنوية، وتخلف القافيةُ البيانَ، وعند اكتمال هذه الطبقات كلها ينتقل الكلام إلى الأدبية.

ومفهوم الأدب يجمع بين القول والعمل؛ يعني بين التربية [التأديب] والقول الحسن، وليس فوق الأدب إلا الإعجاز القرآني، الذي ينقل القول والفعل الحسن إلى مدارك الغيب، حيث يلتقي صواب القول بصواب العمل، فيحصل الإعجاز.

ويتلخص التطور في المخطط التالي:

اللغة ← التراكيب الوضعية (الصرف) ←النحو ← الاستدلال المنطقي← المعاني والبيان ← البلاغة ← المحسنات المعنوية واللفظية← الأسلوب ←العروض والقافية ←الشعر ← الأدب ←الإعجاز.

4- المدرسة الارتقائية:

تُبنى النظرية الارتقائية عند ابن خلدون على طبقات خمس متراصفة، يعبر عنها بالأطوار، ويقصد بالطور الفترة الزمنية التي ينتقل فيها الكائن لسانيا كان أم إنسانيا أم حيوانيا من صورته الأولى إلى صورة أخرى، كما لو كان حقيقة أخرى وليست تطورا داخليا لحقيقة واحدة تنتقل من طور إلى طور حتى تنتهي إلى غايتها.

والطور عند ابن خلدون هو الحال عند البلاغيين، وقد أخذوه عن المتصوفة، ووظفه ابن خلدون لبناء نظرية التحصيل التي تنصّ على أن المعنى ينشأ أول ما ينشأ عن الفعل، فإذا تكرر الفعل صار صفة، وإذا تكررت الصفة صارت حالا (صفة غير ثابتة)، وإذا تكررت الحال صارت ملكة (صفة ثابتة).

وهذا النظام الخماسي يجري في تسلسل مطرد من أسفل إلى أعلى صعودا، ومن أعلى إلى أسفل نزولا في صورة هرمية أو في شكل شجرة أصلها ضيق وهو واسع، وفرعها واسع وهو ضيق دقيق، هذه الشجرة هي المنوال الذي رُصّت فيه جميع المعاني التي تعمر الكون كلمات كانت أم أشخاصا وأشياء.

وهي أعيان متفرقة، إذا جُمعت ونُظِّمت شكلت أكوانا متراصفة في منوال عمراني واحد؛ إذا ركبت في الأفعال كانت عمرانا فعليا، وإذا ركبت في أفكار وألفاظ لسانية كانت عمرانا فكريا وكلاميا، والذوات التي في آخر كل أفق من العوالم مستعدة لأن تنقلب إلى الذوات التي تجاورها من الأسفل والأعلى استعدادا طبيعيا.

وهذا التطور الارتقائي إذا طبقناه على الكلام كان الارتقاء كالتالي: ففي الأسفل نجد الدلالات التي لا تتحدد أبعادها إلاّ إذا أدرجت في شبكة نحوية، والشبكة النحوية لا تظهر قيمتها الكلامية إلاّ إذا أدرجت في الطبقة التي فوقها (طبقة البلاغة)، والبلاغة التي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ترتقي إلى طبقة الأسلوب التي تجمع العبارة البلاغية وتضيف إليها البديع (أي إبداعات المتكلم)، لأن الأسلوب هو العلامات الدالة على شخص المتكلم أو الصانع للعمران.

وكيفية صنع التراكيب الكلامية ككيفية صنع التراكيب العمرانية تخضع للذكاء والحذق، ولذلك فكر ابن خلدون في الجمع بين التراكيب العمرانية والتراكيب اللسانية في علم واحد للتراكيب سماه "فقه التراكيب"، وفقه التراكيب هو كل شيء في نظرية ابن خلدون، والتراكيب الارتقائية هي وحدها التي تمكن من الارتقاء إلى مدارك الإعجاز في القرآن الكريم، بحيث يمكن القول أن التراكيب المعنوية تبدأ عند العناصر العليا المؤلفة لنظم القرآن الذي لا تدركه إلاّ خواص النفوس.

وهذه التراكيب أوسع من أن يحاط بها في قواعد معينة، وهي التي يجب تعليمها للناشئة بالجمع فيها بين التراكيب اللسانية والتراكيب العملية كما تجري بالفعل في الواقع اليومي الميداني، وفي العلاقات بين الأشخاص في الأحوال والمقامات التي يعيشون فيها، وهي خلاصة منوال ابن خلدون.

وفقه التراكيب يتلخص في نظر ابن خلدون في مفهوم الأسلوب، وهو أسمى ما توصل إليه التفكير الخلدوني في لسانياته الارتقائية.

هذه هي شجرة البلاغة والعمران عند ابن خلدون كما رسمت في كتاب المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، لمحمد الصغير بناني:

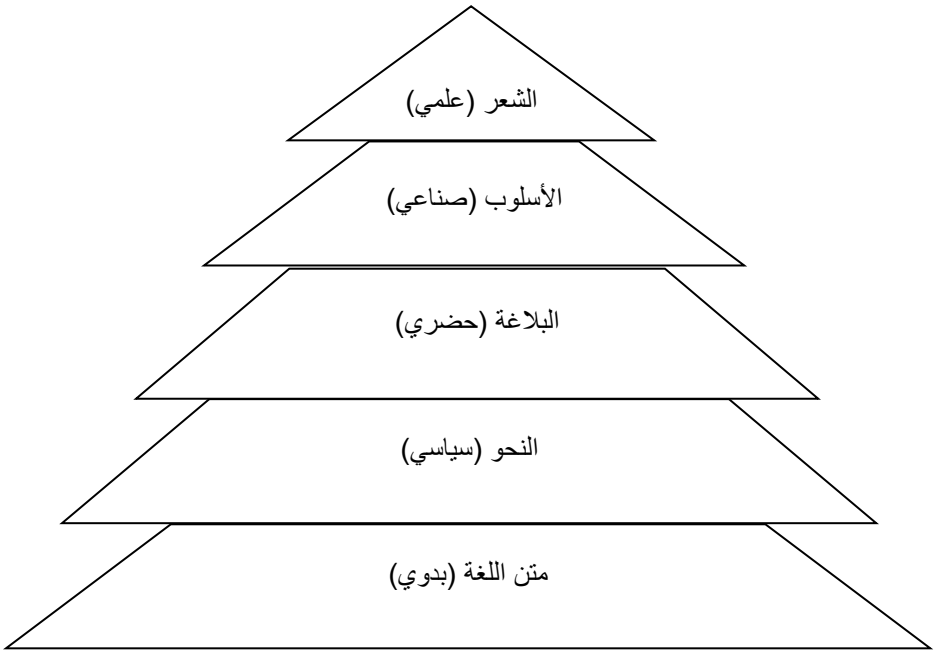

5- خلاصة:

هذه أهم المدارس اللغوية العربية التي شكلت نظريات حقيقية، حيث بقيت إلى حد الساعة تُدرس، وهي جديرة بإعادة إحيائها من جديد، لا لأنها تراث نعتز به فحسب، إنما ما فيها من مفاهيم وقضايا ومباحث هامة لا يمكن لدارس اللغة العربية في أي عصر كان إهمالها أو تجاوزها، ومن جهة أخرى هي نظريات تعالج اللغة وفق المعطيات اللسانية الحديثة، كما أن المنهج الذي بُنيت عليه منهج عربي أصيل.

المحاضرة الخامسة

النظرية الخليلية الحديثة

(المفاهيم الأساسية)

- مدخل:

بعد اكتساح اللسانيات الحديثة العالمَ بوصفها علما جديدا ظهرت في الوطن العربي تيارات مختلفة، تدعو إلى تطبيق المناهج العلمية الحديثة على الدرس اللغوي العربي، فاختلف في ذلك الدارسون؛ فمنهم من رفض الدراسات القديمة جملة وتفصيلا، ومنهم من استغنى عن النظريات الحديثة استغناءً كليا، ومنهم من وقف موقفا وسطا، حيث أراد استثمار كل ما جاءت به اللسانيات الحديثة في الدرس اللغوي العربي دون أن يستغني عن مفاهيمه ومباحثه الثمينة، ومن هذا التيار الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح بنظريته الخليلية الحديثة.

1- ترجمة الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح:

ولد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بمدينة وهران في 8 جويلية 1927م، وهو من عائلة معروفة، نزح أسلافها من قلعة بني راشد المشهورة إلى وهران في بداية القرن التاسع عشر، درس في المدارس الحكومية، وفي الوقت ذاته كان يتلقى دروسًا بالعربية مساءً في إحدى المدارس الحرة التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتحق وهو ابن خمس عشرة سنة بحزب الشعب الجزائري.

وبعد إتمام تعليمه المدرسيّ بدأ في دارسة الطب، وفي سنة 1954 توجه إلى مصر ليكمل دراسته في تخصص جراحة الأعصاب، حيث كان يتردد على جامع الأزهر الشريف ويحضر دروس اللغة العربية، فتعرّف على التراث اللغوي العربي بوعي جديد؛ فحوّل اهتمامه من حقل الطب إلى حقل الدراسات اللغوية، وهناك اكتشف أهمية التراث العلمي اللغوي العربي من خلال ما اطلع عليه من كتاب سيبويه خاصة، واتضح له الفرق الكبير الذي لاحظه بين وجهات النظر الخاصة بالنحاة العرب الأقدمين وما يقوله المتأخرون منهم، وكان هذا دافعًا مهمًّا في حياته العلمية، ولم يستطع أن يكمل دراسته في مصر فالتحق بجامعة بوردو BORDEAUX بفرنسا بعد أن شارك في ثورة أول نوفمبر لمدة سنوات، ثم نزل بالمملكة المغربية والتحق بثانوية "مولاي يوسف" في الرباط أستاذا

لتدريس اللغة العربية، واغتنم الفرصة لمواصلة دراسة الرياضيات في كلية العلوم، وهذا أيضًا حادث أثَّر في حياته الثقافية، وقرَّبَه أكثر من اللغوي العبقري الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي وظّف المفاهيم الرياضية في مباحثه اللغوية.

وبعد حصوله على التبريز في اللغة العربية عُيّن أستاذا لتدريس اللسانيات في كلية الآداب بالرباط في عام 1960م (لأول مرة في المغرب العربي).

قضى حياته أستاذًا وباحثًا في جامعة الجزائر بعد الاستقلال، وعيّن سنة 1964م رئيسًا لقسم اللغة العربية وقسم اللسانيات، ثم انتخب عميدًا لكلية الآداب، وبقي على رأس هذه الكلية إلى غاية 1968م أين عيّن أستاذا زائراً بجامعة فلوريدا، حيث التقى آنذاك بالعالم اللساني "نعوم تشومسكي naom chomsky"، وجرت بينهما مناظرة أفحمت هذا الأخير.

وتفرغ بعد ذلك للدراسة والبحث في علوم اللسان، حيث استطاع بمساعدة الدكتور "أحمد طالب الإبراهيمي" (وزير التربية آنذاك) أن ينشئ معهدًا كبيرًا للعلوم اللسانية والصوتية وجهزه بأحدث الأجهزة، كما أسس أيضًا مجلة اللسانيات المشهورة.

وفي هذا المعهد واصل الأستاذ بحوثه بفضل المختبرات المتطورة الموجودة فيه، وأخرج تلك النظرية التي لقبت في الخارج "بالنظرية الخليلية الحديثة" (وهي مطروحة في الرسالة التي نال بها دكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة السربون سنة 1979م).

وبقي المعهد (معهد اللسانيات والصوتيات سابقًا) صامدًا يؤدي مهامه بفضل سهر الأستاذ على النوعية العلمية التي كان يهتم بتخريجها.

وقد تولدت لديه أفكار عدة بعد أطروحة الدكتوراه التي أنجزها بعد عناء عشر سنوات من البحث والتنقيب حول أصالة النحو العربي، واهتدى آنذاك إلى مشروع الذخيرة اللغوية العربية عن طريق البرمجة الحاسوبية، وكان أول عالم عربي يدعو إلى ذلك المشروع، كما كان أول الداعين إلى تبني المنهج البنيوي وإنشاء محرك بحث عربي " قوقل google عربي".

وفي سنة 1988م عُيِّن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عضوًا مراسلاً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ثم انتخب عضوًا عاملاً به سنة 2003م في المكان الذي خلا بوفاة الدكتور إبراهيم

السامرائي، وسبق ذلك أن عُيِّن عضوًا في مجمع دمشق (في 1978م) ومجمع بغداد (1980م) ومجمع عمّان (1984م).

وكان عضوا في مجالس علمية دولية عدة، وعضوا أيضًا في لجنة تحرير المجلة الألمانية التي تصدر ببرلين.

- **<u>الإنتاج العلمي والمنشورات</u>:**

للدكتور الحاج صالح واحد وسبعون بحثًا ودراسة، نشرت في مختلف المجلات العلمية المتخصصة (بالعربية والفرنسية والإنجليزية) حتى عام 2002م.

- "معجم علوم اللسان"، (بالمشاركة)، مكتب تنسيق التعريب التابع للأليكسو،1992م.
- "علم اللسان العربي وعلم اللسان العام" (في مجلدين)، الجزائر.
- مقالة "لغة" و مقالة "معارف" في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الجديدة.
- "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، في جزأين (عربية وفرنسية وإنجليزية) بالجزائر.
- أربع مقالات: الخليل بن أحمد، والأخفش، وابن السراج، والسهيلي، في موسوعة أعلام العرب (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم).
- عيّنه رئيس الجمهورية سابقا "عبد العزيز بوتفليقة" رئيسًا للمجمع الجزائري للغة العربية سنة 2000م.
- تحصّل على جائزة الملك فيصل سنة 2010 تقديرا لجهوده المتميّزة في تحليله للنظرية الخليلية وعلاقتها بالدراسات اللسانية المعاصرة، ودفاعه عن أصالة النحو العربي، وإجرائه مقارنات علمية بين التراث ومختلف النظريات في هذا الموضوع، فضلا عن مشاركاته في الدراسات اللسانية بحثاً وتقويماً وتعليماً، وجهوده البارزة في حركة التعريب.

- **<u>نشاطه المجمعي</u>:**

منذ أن عين الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عضوًا بالمجمع وهو يشارك في مؤتمرات المجمع بالأبحاث وبإلقاء المحاضرات، ومنها:

– "أصول تصحيح القراءة عند مؤلفي كتب القراءات وعلوم القرآن قبل القرن الرابع الهجري". (مجلة المجمع ج: 90).

- "الجوانب العلمية المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه". (مجلة المجمع ج: 92).
- "تأثير الإعلام المسموع في اللغة العربية، وكيفية استثماره لصالح العربية". (مجلة المجمع ج:94).
- "تأثير النظريات العلمية اللغوية المتبادل بين الشرق والغرب: إيجابياته وسلبياته". (مجلة المجمع ج: 96).
- "المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية". (مجلة المجمع ج: 98).
- "حوسبة التراث العربي والإنتاج الفكري العربي في ذخيرة محوسبة واحدة كمشروع قومي". (مجلة المجمع ج: 103).

- **من أقواله:**

- "اللغات تتفوق بتفوق أصحابها، وهي بمنزلة العملة من حيث إنها تنقل الخسيس والغالي، تنقل معلومات ذات قيمة أولا، تنقل شيئا من ذلك، وقيمتها بما تنقله من معلومات"
- "اللغة مرتبطة بالجماعة التي تنطق بها" مؤكدا في ذات السياق أنه قد يكون للإنسان أكثر من لغة، لأنه يوسع بذلك آفاق معارفه لا في العلوم فحسب، بل في الأخلاق وفي كيفية النظرة للعالم؛ لأن الإنسان الناطق بأكثر من لغة هو إنسان غني.
- دعا الحاج صالح في محاضراته إلى تعدد اللغات عند الفرد واصفا أن وحيد اللغة مسكين ومعوق، لا يمكنه أن يستفيد من الإنترنيت الذي 65% منه بالإنجليزية.
- أعرب الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عن تفاؤله من خلال ربط الهوية واللغة من جهة وبين الرقي العلمي، فلا ينبغي الاشمئزاز من العربية والقول: "ماذا تأتي به العربية؟"
- "ينبغي أن نستفيد مما تنقله اللغة، لكن لابد أن ننتج، أن نجتهد، وهذا لا يتأتى إلا بحرية التفكير التي تكون حدودها في الآخر، والعيب الذي نمتاز به نحن في الجزائر والوطن العربي أننا ننتظر أن يأتي إلينا العلم، والعلم ينبغي أن نذهب إليه."
- "عدم وصول معلومات جديدة بكيفية منتظمة سببه الجمود الفكري حتى عند العلماء."
- "لا هوية إلا باللغة".

– "نحن لا نفرض العربية، وإنما بإنتاج أصحابها تعمم اللغة حتى تخرج نخبة من الأذكياء، لأن هذه النخبة تكون مليون مرة أكثر من البترول، لا ثروة غير هؤلاء، فلا ينبغي أن يفرّ هؤلاء الإطارات، وينبغي أيضا أن تكون هناك أيديولوجية مقننة تجمع الجميع مثلما تجمعنا الكرة في وقتنا الحاضر."

- **<u>من أبرز تلامذته</u>:**

د. التّواتي بن التّواتي – د. منى إلياس – د. خولة طالب الإبراهيمي – د. شفيقة العلوي.

2- <u>التعريف بالنظرية:</u>

تعد اللسانيات الخليلية نظرية لسانية عربية جديدة، تمثل امتدادا لنظرية النحو العربي الأصيلة التي وضعها "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (175هـ) وتلميذه "سيبويه" (ت180هـ) ومن جاء بعدهما من النحاة العرب القدامى العباقرة ممن شافهوا العرب الخّلص الأقحاح، ابتداء من القرن الثاني الهجري وهي الفترة الخصبة في الفكر اللغوي العربي الأصيل المبدع، وحتى القرن الخامس الهجري مع عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ).

سميت هذه النظرية بالنظرية الخليلية أو اللسانيات الخليلية؛ وهي لا تعني الخليل وحده، إنما نسبت إليه لأنه هو الذي سبق غيره إلى استعمال المفاهيم الرياضية لضبط نظام اللغة، ووضع علم العروض، واخترع الشكل، ووضع الحركات على الحروف، ووضع معجم العين...

ولا بدّ من ملاحظة هامة فإن الخليل كما يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ليس هو وحده المسؤول عن كل ما أبدعه عباقرة العلماء الأولين؛ فهناك من عاصره وكان عبقريا مثله، ومن جاء بعده وكان عبقريا مثله، وأذكر من هؤلاء الإمام الشافعي، فهو في أصول الفقه بمنزلة الخليل في النحو وعلوم اللسان، وقد أثرى سيبويه ومن جاء بعده أفكار الخليل كالأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة) والمازني، ولا سيما ابن السراج والرماني والسيرافي والزجاجي، ثم ابن جني وبعده بكثير الرضي الاستراباضي (ت 687هـ) وهو من أرصن العلماء وأكثرهم أصالة، ويعد شاذا في عصره.

وبهذا تعد اللسانيات الخليلية امتدادا منقى مختارا من الآراء والنظريات التي أثبتها النحاة العرب الأولون خاصة الخليل، فهي في الواقع نظرية ثانية (Métathéorie)؛ لأنها في الوقت نفسه تنظير وبحث في الأسس النظرية الخليلية الأولى، وقراءة جديدة لهذا التراث، وإعادة صياغة مفاهيمه

الأساسية، ومقارنتها بما توصل إليه البحث اللساني الحديث، ومحاولة استثمار ذلك في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة.

3- مفاهيم النظرية:

إن كثيرا من المفاهيم والقواعد في النحو العربي الأصيل منطقية رياضية تفسّر مختلف الظواهر اللغوية، وكان هدف العلماء في ذلك الوصول إلى أسس علمية لوصف اللغة العربية والنحو بالخصوص، وهي نفسها المفاهيم التي تدور حولها النظرية الخليلية الحديثة، ومن ذلك نذكر ما يلي:

3-1- الأصل والفرع:

الأصل؛ ما هو أولي بالنسبة لشيء آخر يدعى الفرع، وعند العرب "هو ما يبنى عليه ولا يبنى على غيره"، فهو عنصر ثابت مستمر لا يمكن أن ينحلّ أو يتجزأ إلى أصغر، وإلا زال بناؤه وفقد معناه، ومثال المذكر أصل للمؤنث، النكرة أصل للمعرفة.

أما الفرع فهو نتيجة لعملية اشتقاق انطلاقا من الأصل وفق تحويل معين، فهو أصل مع زيادة إيجابية أو سلبية، ومثال ذلك المثنى والجمع فرعان للمفرد (الأصل)، فحسب النحاة العرب كل كائن لغوي هو إما أصل يبنى عليه الفرع، أو فرع يبنى على أصل.

3-2- القياس:

هو عملية منطقية رياضية، تقوم على حمل فرع على أصل في الحكم لجامع بينهما، لاستنباط البنية الجامعة أو المثال الذي يشملهما، فالهدف من القياس هو الكشف عن الصيغة المشتركة وترجمتها على شكل مثال أو حد إجرائي، ويعد القياس بهذا المفهوم بمثابة حجر الزاوية الذي بنيت عليه النظرية الخليلية الحديثة.

3-3- الموضع:

وهو مفهوم خاص بالنظرية الخليلية، قد يكون موقعا أو موضعا اعتباريا، إذ قد يكون خالياً، ففي لفظة "بكتاب" مثلا موضع أداة التعريف موجود في الاعتبار بين الباء وكتاب، إذ قد تظهر فيه "ال" عند الاقتضاء، ويمكن تعريفه كذلك بأنه عبارة عن الحيز الذي يمكن أن يشغله عنصر معين في البنية، ويمكن أن ينعدم هذا العنصر تمامًا.

3-4- مفهوم التحويل:

هو عملية الانتقال من الأصل إلى الفرع عبر سلسلة من الزيادات، قد يتعلق الأمر بإضافة أو حذف أو تغيير في الصيغة، ويكون التحويل إما طرديا؛ بالانتقال من الأصل إلى الفرع، وذلك بزيادة العناصر اللغوية على الأصل، وإما عكسيا؛ بالانتقال من الفرع إلى الأصل، أي برد الفروع إلى أصولها، وذلك بحذف الزيادات التي أضيفت إلى الأصل.

3-5- الوضع والاستعمال:

اللغة عبارة عن مجموعة منسجمة من الدوال والمدلولات ذات بنية عامة، ثم بنى جزئية، وهذا يسمى الوضع؛ أي ما يثبته العقل من انسجام وتناسب بين العناصر اللغوية وعلاقاتها الرابطة وبين العمليات المحدثة لتلك العناصر على شكل تفريعي أو توليدي (من الأصول إلى الفروع). أما الاستعمال فهو كيفية إجراء الناطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب، فيختار المتكلم ما يحتاجه من الدوال للتعبير عن أغراضه، فيميز بين ما هو راجع إلى القياس وبين ما هو راجع إلى الاستعمال؛ بمعنى أنه يستعمل اللغة بحسب ما تقتضيه أحوال الخطاب، لأن قوانين الاستعمال ليست هي قوانين الوضع أو القياس، ولذلك فإن اللفظ والمعنى في الوضع يختلفان عنه في الاستعمال.

3-6- مفهوم الباب:

ويتعلق باللفظ والمعنى إفرادا وتركيبا في كل مستويات اللغة، فقد أطلق سيبويه هذا المفهوم على المجموعات المرتبة من الحروف الأصلية للكلمة الثلاثية مثل: (ض. ر. ب) وغيرها، وكذلك على مستوى أبنية الكلمة أي أوزانها، وكذلك على مستوى التراكيب، فقد ذكر أن سيبويه سمى أبوابا مثل: باب «حسبك به»، وباب «لقيا وحمدا».

والباب عبارة عن مجموعة من العناصر تنتمي إلى فئة أو صنف ما، تجمعها بنية واحدة، وهو عند النحاة الأوائل يعادل المجموعة في الرياضيات، فالباب الذي ليس فيه عنصر (المجموعة الخالية) هو المهمل عند الخليل، وقد يحتوي الباب على عنصر واحد ومثال ذلك "شنيء نسبة إلى شنوءة".

3-7- مفهوم الاستقامة:

يميز "سيبويه" في الكتاب بين السلامة الراجعة إلى اللفظ، والسلامة الخاصة بالمعنى، كما يميّز أيضا بين السلامة التي يقتضيها القياس (أي النظام العام الذي يميز لغة عن لغة أخرى) والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين، وذلك في قوله في باب "الاستقامة من الكلام والإحالة": «فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس، وسآتيك غدا، وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس. وأما المستقيم الكذب فقولك: حَمَلْتُ الجَبَل، وشربتُ ماء البحر ونحوه، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيدٌ يأتيك وأشباه هذا. وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس»[1]

فواضح من هذا الكلام أن "سيبويه" يحدد مفهوم السلامة وعلاقتها باللفظ والمعنى من ناحية، والقياس والاستعمال من ناحية أخرى. فهناك المستقيم الحسن، والمستقيم القبيح، والمستقيم المحال، ويمكن صياغة هذه المعاني بشكل آخر أكثر وضوحا:

- فالمستقيم الحسن = السليم في القياس والاستعمال جميعا.
- والمستقيم القبيح = السليم في القياس وغير السليم في الاستعمال.
- وأما المستقيم المحال = سليم في القياس والاستعمال، غير سليم من حيث المعنى.

3-8- مفهوم الانفراد:

ينطلق النحاة الأوائل في تحليلهم للغة من "الاسم المفرد" بوصفه النواة أو الأصل الذي تفرع عنه أشياء أخرى. وقد أطلق "الخليل" على هذا المفهوم مصطلح "الاسم المظهر (≠ المضمر)، كما أطلق عليه "ابن يعيش" و"الرضي الإستراباذي" مصطلح اللفظة.

واللفظة في اللسانيات الخليلية عمادها الوقف والابتداء، فهي أقل ما يُنطقُ به مما ينفصل فيُسكت عنده ولا يلحق به شيء، أو يَبْتَدِئ فلا يسبقه شيء، فما ينفرد وينطلق، أو ما ينفصل ويبتدئ هو صفة الانفراد.

1- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ج1، (ط1)، 1991، ص 25-26.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن كل وحدة لغوية قابلة للانفصال عما قبلها أو ما بعدها من الوحدات؛ بمعنى أن كل وحدة لغوية يمكن الابتداء بها والوقوف عليها حسب موقعها في الكلام، فمن الألفاظ ما ينفصل ويبتدئ مثل: "الرئيس" في نحو قولنا: "جاء الرئيس" و"الرئيس جاء"، ومنها ما لا ينفصل ولا يبتدئ مثل ضمير "تاء الفاعل" و"نا" المضاف إليه في نحو قولنا: "خَرَجْتُ" و"كتابُنا"، ومنها ما يبتدئ ولا ينفصل مثل حرف الجر في نحو قولنا: "في التأني السلامة".

ويحمل النحاة "اللفظة" على غيرها من المثل والنماذج، فتفرّع إلى لفظات هي نظائر للنواة، ولكنها أوسع منها، من خلال تعاقب زيادات قبلية وبعدية عليها دون أن تفقد وحدتها أو تنفرد فيها أجزاؤها، فلا تخرج عن كونها لفظة (أي قطعة واحدة)، وسمى النحاة هذه القابلية للزيادة يمينا ويسارا "التمكن"، ولاحظوا أن لهذا التمكن درجات مختلفة تترتب كالآتي:

أ – المتمكن الأمكن؛ وهو الذي يحمل معناه بداخله ولا يحتاج إلى غيره، ويتمثل في اسم الجنس المنصرف كرجل وفرس وشجرة.

ب – المتمكن غير الأمكن، ويتمثل في الممنوع من الصرف.

جـ – غير المتمكن ولا أمكن، ويتمثل في الاسم المبني.

4- <u>خلاصة:</u>

إن النظرية الخليلية الحديثة تضمنت منهجا بحثيا هو من أكثر المناهج صلاحية لدراسة اللغة العربية دراسة علمية مقارنة بالمناهج الغربية، التي حاول كثير من الباحثين العرب تطبيقها على اللغة العربية تطبيقا أصما دون مراعاة خصوصياتها الصوتية والصرفية والنحوية، فهي أساسا مناهج وُضعت لدراسة اللغات الأوروبية دون غيرها.

المحاضرة السادسة

تأثير اللسانيات العربية في الغربية

1- مدخل:

ارتبط تأريخ اللسانيات الحديثة بالمحاضرات التي كان يلقيها عالم اللغة "فيردنان دي سوسير Ferdinand de Saussure"، الذي يُعد مؤسس اللسانيات الحديثة، حيث نُشرت محاضراته بعد مماته في كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة"، وقد كان جوهر هذه المحاضرات يدور حول طرح منهج لساني علمي جديد لدراسة اللغات البشرية دراسة آنية، فقد كان المنهج الذي استعمله ردة فعل على المناهج اللغوية السابقة التي كان يستخدمها العلماء في الهند لمقاربة اللغات الهندية باللغات الأوروبية، وذلك بِاستعمال المنهج التاريخي الذي يدرس اللغة دراسة طولية؛ بمعنى أن يتتبع الظاهرة اللغوية في عصور مختلفة وأماكن متعددة ليرى ما أصابها من تطور.

لقد انتقل منهج دي سوسور اللساني إلى الولايات المتحدة، وطُوّر تطويراً يختلف عما كان عليه في أوروبا، من هنا نشأت "البنيوية" اللسانية (Structuralism) على يد العالم الأمريكي "بلومفيلد Bloomfield" في كتابه "اللغة (Language)"، فقد تطورت النظرية البنيوية من خلال نماذج عديدة، واستمرت في التطور حتى عام 1957 حيث جاء عالم اللسانيات الأمريكي "نعوم تشومسكي"، الذي كان انعطافاً وحدثاً عظيماً في تاريخ العلوم الإنسانية والطبيعية في العالم، فقد استطاع هذا العالم أن يقلب المفاهيم الطبيعية والإنسانية رأساً على عقب، كالمفاهيم المطروحة في علم النفس والمنطق والفلسفة وعلم الأنثروبولوجيا والرياضيات وعلم البيولوجيا وعلم الحاسبات الإلكترونية وعلم الفيزياء.

من هذا المنطلق يمكننا التساؤل: هل ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة كان نتيجة آراء دي سوسير ومن جاء بعده؟ أم أن هذه الدراسات كانت نتيجة أبحاث متراكمة لحضارات مختلفة؟ وما الدور الذي أدته الدراسات العربية في هذا المضمار؟

2- جذور اللسانيات:

يجب التأكيد على أنه من الصعب رصد أولى مظاهر التفكير اللساني في الفكر اللغوي الحديث بطريقة مضبوطة أو في مدة تاريخية معينة؛ بل من المعلوم أن الدرس اللغوي بدأ منذ حضارات غابرة عند الهنود والإغريق والعرب قديما، وتواصلت الجهود اللغوية وصولا إلى النهضة الأوروبية، ووصولا إلى قبيل ظهور اللسانيات الحديثة في القرن العشرين.

إن التأريخ للتفكير اللساني البشري ينعدم فيه ذكر العرب، وهي قفزة لحوالي ثمانية قرون من الجهد المتواصل المنقطع النظير في المجال اللغوي وغيره، وهي قفزة يراها "المسدي" اعتباطية، إذ لا يردها إلى جهل المؤرخين للسانيات باللغة العربية؛ لأنهم استعرضوا ثمرة حضارات لا يعرفون لغتها، بل أكثر من ذلك حين أرخوا بالحدس والتخمين من حضارات انقرضت لغة الأمم التي عاشوا فيها.

ومن جهة أخرى لم يكد يمضي نصف قرن على ظهور اللسانيات حتى كان بعض اللسانيين العرب يدرسونها في الغرب مثل "إبراهيم أنيس" و"داود عبده" و"تمام حسان" و"كمال بشر" وغيرهم، وهذا يعني أنّ الغرب قد سبق العرب بحوالي نصف قرن من الجهود اللسانية الحقيقية، وكان بالإمكان تجسير هذه الهوة بسرعة، وهذا قد يكون عن طريق تكتل سيمياء تفكير اللسانيات الغربية؛ بل وربما بالإسهام الحقيقي في تطوير اللسانيات الغربية، والمشاركة في المجهود العالمي في الدراسات المتخصصة فيها؛ لأن وسائل الاتصال السريع كانت تحمل بشرى بناء علاقة لسانية إيجابية بين اللسانيات من جهة والثقافة العربية من جهة أخرى.

لقد كان الرواد الأوائل على مستوى عال من الإدراك العلمي، مما يسر لهم فهم المعطيات اللسانية غير العربية بسرعة وإتقان، بصفتهم الشخصية العلمية لما يمتلكونه من مؤهلات نجاح الخطاب اللساني في الثقافة العربية، وسيرتهم العلمية تؤكد أنّ كل واحد منهم مؤهل تأهيلا عاليا ليكون في المستقبل عالم لسانيات؛ لأن معظمهم –إن لم يكن كلهم– كانوا مبعوثين من قبل جامعاتهم لإكمال دراساتهم العليا، وعادةً ما يكونون من أوائل الأقسام، وهذه البعثات تشير إلى وعي مبكر إيجابي من المسؤولين عن التعليم العالي آنذاك لأهمية دراسة اللسانيات بفروعها المتعددة.

ومن المثير للاهتمام أن هؤلاء اللسانيين قد انقسموا إلى تيارين أساسيين؛ هما:

* تيار لساني عربي محافظ مدين للنحو العربي: متمثلٌ في باحثين حاولوا عوربة اللسانيات وأسلمتها؛ بمعنى محاولة إيجاد صيغة لسانية تنطلق من الموروث العربي لا من معطيات علم اللسان الحديث، فأخذوا من اللسانيات ما وجدوا له مثيلا في الموروث العربي، وما ناقضه درسوه تحت عنوان "التناقض بين المذاهب اللسانية الحديثة" للوصول إلى معادلة (لسانيات حديثة)، في مقابل (نحو واحد).
* تيار لساني عربي متخصص أصلا في الموروث اللغوي –النحو– لكنهم قرأوا عن اللسانيات وتثقفوا بها مجاراة لموضة العصر الحديث، وطرحوا أنفسهم بوصفهم لسانيين، وما هم بذلك لأن معرفتهم اللسانية لا تتسم بالعلمية.

وعلى الرغم من جهود هؤلاء اللسانيين العرب وأعمالهم القيّمة، فاللسانيات العربية لم تلق الرواج الذي حظيت به في الغرب، فقد ظلت مهمشة في المؤسسات التي أوكلت إليها مهام الاطلاع على البحث اللساني.

3- <u>التفكير اللساني عند العرب:</u>

إن جهود العلماء العرب في الدرس اللغوي جهود لا يستهان بها، لا من حيث الدرس بوصفه بحثا لغويا مستفيضا، ولا من حيث المدة التي استمرت حوالي ثمانية قرون من العطاء الجاد، وهو بشكل أو بآخر مدّ الدرس اللغوي العالمي بمعارف كثيرة وقضايا لغوية مختلفة –وإن أنكر الغربيون ذلك–، ولعل ترجمة القرآن الكريم والدراسات التي قامت حوله كانت سببا في النهضة الأوروبية الحديثة، ومنه تطور الدرس اللغوي الغربي.

إن ما يجعلنا نؤكد الدور الهام للدراسات اللغوية العربية في تأسيس اللسانيات الحديثة هو عبور الحضارة الإنسانية (الإسلامية) من العرب إلى الغرب، فالنهضة اللاتينية قامت أساسا على مستخلصات الحضارة العربية الإسلامية، بعد أن أقبلت على ترجمة أمهات المدونات والمؤلفات التراثية العربية، وقد عمد الغرب إبان نهضته إلى نقل علوم العرب ومعارفهم بمختلف الوسائل، وبدأوا بالعلوم الصحيحة كالرياضيات وعلم الفلك وعلم الفيزياء وعلم الكيمياء أولا، وما في ميدان الطب ثانيا، ثم انتقلوا إلى ميدان الفلسفة والعلوم الإنسانية بشكل عام، حيث كان ابن رشد هو المفتاح الذي ولج عبره الأوروبيون إلى تراث اليونان.

إلا أن عدم الاعتراف بدور الدراسات اللغوية العربية في تأسيس علم اللسان الحديث يرجع أساسا إلى أن الدراسات العربية التراثية قامت على أساس ديني، فقضاياها ملابسة لقضايا المعتقد، حيث شكّل ذلك حاجزا من المحظورات بين الأمم في قضايا اللغة قداسة وتدنيسا.

وفيما يلي نستعرض بعض الدراسات المختلفة التوجهات، حيث تتصل اتصالا مباشرا بقضية الإسهامات العربية في تأسيس اللسانيات الحديثة، ومن ذلك نذكر:

من الدراسات المركزة على رواد التفكير اللغوي أطروحة الأستاذ "عبد القادر المهيري" عن ابن جني، حيث عقد فصلا لنظريات اللغة، أثار فيه قضايا جوهرية من بينها مشكلة أصل اللغة وقضية حدّها.

ومن الدراسات المركزة على أعلام التفكير الديني كتاب الأستاذ "أرنالداز Arnaldaz " عن ابن حزم، فتطرق إلى النظرية اللغوية عنده ووظيفة النحو في تراثه، ووقف على قضية أصل اللغة، ومشكل دلالة الألفاظ مشيرا إلى علاقة الاستدلال النحوي بمقومات المذهب الظاهري.

ومن الدراسات التي ترتكز على بعض أعلام التفكير البلاغي في الحضارة العربية خاصة عند عبد القاهر الجرجاني ما درسه المهيري في التعريف بآراء عبد القاهر الجرجاني في اللغة والبلاغة، حيث عمد إلى بعض الفحوص التي تبيّن طرافة تفكير الجرجاني وحداثة آرائه في مفهوم اللغة والكلام وفي مفهوم العلامة اللغوية.

4- <u>إسهامات اللغويين العرب:</u>

صحيح أن كثيرا من العلماء الغربيين المؤرخين للدراسات اللغوية العالمية وتأثيرها في الدرس اللساني الحديث لم يشيروا إلى تأثير الدراسات اللغوية العربية، لكن المتتبع لها بكل موضوعية يجد أن العرب أسهموا بشكل كبير في تطور هذا الدرس اللغوي، حيث تتجلى تأثيرات الدراسات اللغوية العربية القديمة على الدراسات اللسانية الحديثة في جانبين هامين في الدرس اللغوي؛ هما: النحو والمعجم، وسنستعرض باختصار أهم ما جاء فيهما.

أ- <u>النحو</u>: يبدو أثر الدراسات النحوية العربية جليا في النحو السرياني والنحو القبطي والنحو العبري، فعندما اتصل العرب المسلمون بعد دخولهم أرض السريان فاتحين، وانتشار اللغة العربية في البلاد تأثر السريان بها وبحركيتها، فأنشأوا نحوا على نمط النحو العربي؛ لأنه أقرب إلى لغتهم من النحو اليوناني، وألفوا كتبا على غرار كتب النحو العربي، ولما دخل العرب المسلمين بلاد مصر فاتحين تأثر النحاة الأقباط بالمجهودات الجبارة للنحويين العرب، وانبهروا إلى ما توصل إليه نحاتنا، فألفوا مؤلفات نحوية على غرار منهج النحاة العرب، ومن ذلك مثلا: الكلمة عند "ابن كاتب قيصر" تنقسم إلى: اسم وفعل وحرف، ونفس علامات الاسم وعلامات الفعل، إضافة إلى المبتدأ والخبر وما يتصل بهما، وإن وأخواتها، وغيرها من المباحث النحوية، ويظهر هذا التأثير أيضا في النحو العبري؛ الذي يعدّ صورة طبق الأصل عن النحو العربي، حيث ظهر في حوالي القرن الرابع الهجري بعد اكتمال المباحث النحوية في النحو العربي.

ب- <u>المعجم:</u> لقد كان العرب سبّاقين في صناعة المعاجم اللغوية، وقد أثّروا حتى في الأمم التي سبقتهم في الدرس اللغوي، فالهنود مثلا لم ينشطوا في مجال المعجم إلا في القرن الثاني عشر، وهي الفترة التي تميزت بنشاط معجمي كبير، والأتراك تأثروا بالمعاجم العربية من خلال ترجمتها إلى اللغة التركية كترجمة "الصحاح" التي قام بها "قرة بيري" المتوفى عام (886 هـ) وسماها "الترجمان"، ومن جهة أخرى قد ألّف الأتراك معاجمهم على نمط المعاجم العربية، ومن ذلك "ديوان لغات الترك" للكاشغري المتوفى عام (466 هـ) الذي سار فيه على نمط "ديوان الأدب" للفارابي.

5- خلاصة:

ما نستخلصه مما سبق أن للعربية وعلمائها –وإن أنكر الغربيون– دورا فاعلا في تأسيس علم اللسان الحديث؛ لأن ما توصلت إليه الدراسات اللسانية الحديثة من نظريات وآراء لم تبن من فراغ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يمكن أن نتغافل عن احتكاك الحضارة العربية الإسلامية بالحضارات الأخرى، وأن الحضارة العربية الإسلامية بكل مكوناتها قد وصلت إلى أوروبا عبر الفاتحين والتجار وغيرهم، الشيء الذي يدل على أن النهضة الغربية قامت –ولو بجزء يسير– على أنقاض الحضارة العربية الإسلامية.

والمتتبع لكثير من آراء اللسانيين الغربيين المعاصرين يجد أنهم استقوا معارفهم اللسانية من التراث العربي الإسلامي خاصة تشومسكي.

المحاضرة السابعة

تأثر اللسانيات العربية بالغربية

1- توطئة:

ظهرت اللسانيات في العالم الغربي في بداية القرن العشرين، مع العالم السويسري فيرديناند دي سوسير من خلال محاضراته في اللسانيات العامة، حيث إن المفهوم الحديث للسانيات بوصفها علما قائما برأسه لم يتحدد بشكل جلي، إلاّ بعد ظهور هذه المحاضرات التي أسس فيها لعلم حقيقي للغة، يقوم على منهج وصفي، تجاوز به قصور الدراسات المقارنة والدّراسات التاريخية.

2- بدايات الدرس اللساني العربي الحديث:

تعدّ فترة الأربعينيات من القرن الماضي هي بداية الاتصال الحقيقي بين الفكر اللساني الغربي والفكر اللغوي العربي مع مجموعة من الباحثين الذين تتلمذوا على يد بعض اللسانيين الغربيين من أمثال (جون روبرت فيرث J.R.firth) أستاذ اللسانيات العامة بجامعة لندن بين الفترة 1944 و1960، وتلاميذه "جوزيف فندريس" و"أنطوان مييه"، حيث إن مجموعة كبيرة من الباحثين المصريين العائدين من أوروبا وأمريكا تأثروا بأفكار اللسانيين الغربيين، ونقلوها إلى بلادهم بغية الانتفاع بها في دراسة اللغة العربية.

ومن أبرز الكتابات التي تأثرت بهذا الفكر الغربي الجديد كتابات "رفاعة الطهطاوي"، حيث دعا إلى إنشاء مجمع للغة العربية على غرار المجمع العلمي الفرنسي، ويظهر التأثر أيضا عند "جورجي زيدان" في كتابه "الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية"، وفي كتابه الثاني "اللغة العربية كائن حي"، حيث يظهر جليا فيهما تأثره بالنزعة الداروينية التي كانت سائدة في تلك الفترة، وبنظرية النشوء والارتقاء، ونظرية النمو التلقائي للكائنات؛ إذ تبنّى نظرية اللغات المرتقية واللغات غير المرتقية، ونظرية المقطع الأحادي التي تفسر تولّد الكلام، وحاول البحث في أصول العربية ونشأتها، مع مقارنتها بشقيقاتها من اللغات السامية، معتمدا النظريات التي سادت في نهاية القرن التاسع عشر.

وتعدّ الفيلولوجيا الغربية (فقه اللغة) المؤثر الفعلي في البحث اللغوي العربي، إذ أدخل المستشرقون الألمان نمط التفكير الفيلولوجي إلى البلاد العربية، حيث شكلت بحوثهم إطارا مرجعيا

لجملة من البحوث والدراسات اللغوية العربية، ويمكن عدّ سلسلة التأليف اللغوية التي اتخذت من فقه اللغة عنوانا لها أو نموذجا لهذا التأثير بدءا بكتاب "علي عبد الواحد وافي" فقه اللغة الصادر عام 1937.

3- أهم الأعلام الغربيين المؤثرين:

إذا كانت البداية الحقيقية للسانيات الغربية الحديثة مطلع القرن العشرين، فإن ظهورها في الوطن العربي تأخر نوعا ما، نظرا للظروف التي كان يعيشها العرب من احتلال وأوضاع مزرية، وتخلّف عن العالم الغربي في مجال الدراسات اللغوية خاصة، إلا أن هذا التأخر الزمني لم يمنع كثيرا من الباحثين العرب الذين درسوا في الجامعات الغربية من الاطلاع على هذا المولود الجديد وفهمه، إلا أن اختلاف المشارب واختلاف الاصطلاحات المترجمة عاق بشكل أو بآخر تقدم هذا الدرس في الوطن العربي.

ورغم هذا فالأفكار اللسانية التي لاقت رواجا كبيرا في أوروبا وأمريكا وصلت إلى الوطن العربي، واستفاد منها الباحثون بشكل كبير، كما أن أعلام الدراسات اللسانية الغربية الذين أفادوا الدرس اللساني الحديث كثيرا من خلال آرائهم وبحوثهم، اطلع عليها كثير من الباحثين العرب وتأثروا بها، ومن بين هؤلاء الأعلام الغربيين المؤثرين في الدرس اللساني العربي نذكر:

أ- فرديناند دوسوسير:

اتخذت الدراسات اللغوية منحى جديدا بمجيء سوسير الذي استطاع أن يضبط بدقة موضوع اللسانيات، ويخلصه من القضايا الخارجة عن اللغة بالدعوة إلى تركيز البحث على دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها.

إن الأفكار اللسانية المطروحة في محاضرات دي سوسير لم تغير مجرى الدراسة اللغوية الغربية فحسب، بل ألقت ظلالها حتى على الدراسات اللغوية العربية من خلال الأخذ بهذه الأفكار وتطبيقها على الدراسات اللغوية خاصة من الناحية النظرية، وحاول الدارسون العرب تطبيق المنهج الوصفي على دراساتهم اللغوية.

إن التصور الذي قدمه دوسوسير في دراسة اللغة حين عدّها نظاما من الإشارات تعبر عن الأفكار، أعطاها أهمية بالغة لم تتمتع بها من قبل، وأحاطها بمفهوم جديد للبنية، من هنا تميزت

دراسة اللغة عن دراسة العلوم الأخرى باختلاف مادتها عن مادة الأخيرة، فهي مادة مستقلة، وموضوع مستقل، ومنهج دراسي، حيث لجأ إلى اشتقاق ثنائياته المشهورة.

ومن أهم المبادئ البنيوية التي قدمها دوسوسير ما يلي:

- موضوع اللسانيات هو دراسة اللغة بذاتها ولذاتها؛ أي هي الوسيلة والغاية.
- اللغة نظام؛ حيث لا يمكن تحليل الظواهر اللغوية بعزلها عن غيرها، وهذا النظام جزء من نسق أكبر.
- اللغة ظاهرة اجتماعية؛ يجب دراستها على أساس هذا المعيار، دون اللجوء إلى معايير أخرى خارجة عن مادتها البنيوية (نفسية مثلا)، أو خارجة عن طبيعتها الاجتماعية (التاريخ مثلا).
- العلامة لا تحمل معنى مستقلا بذاتها ما لم تكن داخل النظام؛ بل تستمد معناها من النظام ككل، ومن الوحدات والعلامات المجاورة لها داخل النظام.
- التمييز بين اللسان والكلام؛ وهو في حقيقته تمييز لما هو اجتماعي خاضع لنظام عام عما هو فردي ذاتي.
- الدراسة الآنية يجب أن تسبق الدراسة التعاقبية؛ لأن النسق الثابت يمكن فهمه أكثر من المتغير، والمتغير في حدّ ذاته نابع من ذلك النسق، مما يحتم على الدارس معرفة حاله أولا قبل تغيّره.
- الوحدة الأساسية للتحليل اللساني هي الكلمة لا الجملة.
- وجود اللغة يكون على محورين؛ أحدهما توزيعي: هو العلاقات التي تربط وحدات اللغة أثناء التعبير بها، وثانيهما استبدالي: وهو الوحدات اللغوية الحاضرة في الذهن.

ب- <u>مارتيني:</u>

يعدّ "أندري مارتيني André Martinet" من الأعلام البارزين في الدرس اللساني الحديث، بما قدمه من أفكار في مدرسة براغ، هذه المدرسة التي أضافت الطابع الوظيفي للدراسات البنيوية.

وانطلقت هذه المدرسة من منطلق تدريس الأصوات وضبط منهج للتمييز بين ما هو وظيفي فيها وما ليس وظيفيا، وكان تروبوتسكوي الذي بلور في أجلى مظهر نتائج أعمالها في كتابه: مبادئ الأصوات الوظيفية (principes de phonologie])، على أن النظرية الوظيفية لم تتبلور في كل

مظاهرها مع مدرسة براغ، فقد تواصل بناؤها وصقلت مبادؤها ومفاهيمها في فرنسا عن طريق أندري مارتيني خاصة.

ويمكننا أن نستخلص مما كتبه أندري مارتيني ثلاثة اتجاهات رئيسة ذات علاقات حميمة فيما بينها كما يلي:

– اتجاه الفونولوجيا (علم الأصوات العام)؛ ويعتني بضبط الأصوات العامة، ووصف صورها (الفونولوجيا الوصفية).

– اتجاه الفونولوجيا الزمنية (العلم بتطور الأصوات عبر الزمان).

– اتجاه اللسانيات العامة.

أما القطب الذي تدور عليه رحى الوظيفية فيتمثل في التقطيع المزدوج؛ التقطيع الأول ويتناول الكلمات في صورتها اللفظية ومن حيث مضمونها، فبفضل هذا التقطيع يمكن الحصول على تراكيب غير محدودة من العبارات انطلاقا من عدد محدود من المقاطع، والتقطيع الثاني لا يعني فيه إلاّ بالصورة اللفظية، فاستبدال مقطع صوتي من المقاطع المذكورة بمقطع من نفس النوع لا يؤدي في كل حالة إلى نفس التغيير المعنوي فنقل «ا» من سال إلى زال، لا يغير صورة المدلولات (التي هي مختلفة في أصلها عكس ما هو الحال عليه في التقطيع الأول، حيث يكون كتبتُ/ كتبتَ/ كتبتِ، اللفظة (كتب) نفسها ألصقت بها أصوات مختلفة؛ ضمير المتكلم والمخاطب والمخاطبة).

والتقطيع الثاني إن كان يؤدي إلى إنجاز عشرات من المقاطع الصوتية (فونيمات)، فهو يؤدي بالخصوص إلى عشرات الآلاف من الدلالات المختلفة، وعكس ما يراه "جاكوبسنJacobsen " فإن مارتيني لا يرى من الضروري إدخال تقطيع ثالث يهم الخصائص التي تميز الحروف.

أما الفونولوجية العامة (علم الأصوات العامة)، فإن مارتيني يرجع المردودية الوظيفية التي هي وظيفة لسانية، إلى اختلاف الأصوات، وانطلاقا من التمييز الهام بين الظواهر الصوتية والظواهر الفونولوجية (الحرفية الوظيفية)، حيث يضع مارتيني في تقابل الشروط الضرورية للتوصيل، كما يشترط وجود أقصى ما يمكن من الوحدات التي يشترط فيها أن تكون على جانب أكبر من الاختلاف مقابل بذل أقل ما يمكن من الجهد بعدد من الوحدات الأقل تباينا.

والبحث عن الانسجام بين هذين الشرطين يؤدي إلى الاقتصاد اللغوي أو إلى تحسين المردود الوظيفي. فكل وحدة من وحدات العبارات تصبح خاضعة إلى نوعين من الضغوط المتقابلة؛ ضغط أفقي ناتج عن تعاقب الألفاظ في سلسلة الكلام، وفيه تجاذب بين الوحدات المتجاورة، وهو قائم على التماثل، وضغط عمودي تفرضه الوحدات أو الكلمات المنحدرة في السدى، والتي كان بالإمكان أن تحل في ذلك الموضع، وهو ضغط قائم على التباين.

الاتجاه الوظيفي ينقل الوظيفة نفسها إلى التراكيب النحوية، فمارتيني يميّز بين الكلمات الوظيفية، ويكون التمييز بين الأدوات التي لها الصدارة وبين الأدوات المتممة التي تأتي في آخر الكلمة، أو بين الصيغ الصرفية التي تعين الهيئة أو الجهة أو العدد أو أدوات التعريف والتنكير.

ج- تشومسكي:

أحدث تشومسكي ثورة في علم اللغة بأفكاره الرائدة، حيث نشر كتابه الأول عام 1957 وكان كتابا ضئيل الحجم، وكانت أفكاره غير مقيدة بالتناول العلمي والفني لقضايا هذا العلم إلى حد ما، ومع ذلك فقد كان الكتاب ثورة في الدراسة العلمية للغة، وظل تشومسكي بعدها يتحدث بسطوة منقطعة النظير في كافة نواحي النظرية النحوية لسنوات طويلة.

والنحو التوليدي هو نظرية لسانية وضعها تشومسكي، ومعه علماء اللسانيات في المعهد التكنولوجي بماساشوسيت (الولايات المتحدة) فيما بين 1960 و1965 بانتقاد النموذج التوزيعي والنموذج البنيوي في مقوماتهما الوضعية المباشرة، لأن هذا التصور لا يصف إلاّ الجمل المنجزة بالفعل، ولا يمكنه أن يفسر عددا كبيرا من المعطيات اللسانية مثل الالتباس والأجزاء غير المتصلة ببعضها بعضا، فوضع هذه النظرية لتكون قادرة على تفسير ظاهرة الإبداع لدى المتكلم وقدرته على إنشاء جمل لم يسبق أن وجدت أو فهمت على ذلك الوجه الجديد.

والنحو عنده يتمثل في مجموع المحصول اللساني الذي تراكم في ذهن المتكلم باللغة؛ يعني الكفاءة اللسانية (competence)، والاستعمال الخاص الذي ينجزه المتكلم في حال من الأحوال الخاصة عند التخاطب والذي يرجع إلى القدرة الكلامية (performance)، ويتألف من ثلاثة أجزاء أو مقومات:

- مقوم تركيبي: ويعني نظام القواعد التي تحدد الجملة المسموح بها في تلك اللغة.

– مقوم دلالي: ويتألف من نظام القواعد التي بها يتم تفسير الجملة المولدة من التراكيب النحوية.

– مقوم صوتي وحرفي: ويعني نظام القواعد التي تنشئ كلاما مقطعا من الأصوات في جمل مولدة من التركيب النحوي.

والشبكة النحوية (composante)؛ أي البنية النحوية، حيث تتكون من قسمين كبيرين، أولهما الأصل الذي يحدد البنيات الأصلية، وثانيهما التحويلات التي تمكن من الانتقال من البنية العميقة المتولدة عن الأصل إلى البنية الظاهرة التي تتجلى في الصيغة الصوتية، وتصبح بعد ذلك جملا منجزة بالفعل.

أما البنيات الملتبسة لا تصبح جملا فعلية منجزة إلاّ بنقلها إلى القواعد الصوتية، والأصل مكوّن من قسمين:

–القسم أو الأصل التفريعي: وهو مجموع القواعد التي تحدد العلاقات النحوية التي هي العناصر المقومة للبنية العميقة، وتمثيلها في رموز تصنيفية هكذا:

(ت س) + (ت ف)، حيث (ت س) هو رمز للصنف الاسمي، و (ت ف) هو رمز للصنف الفعلي، والعلاقة النحوية هي علاقة الفعل بالفاعل. (ت = تركيب، س = اسمي، ف = فعلي).

–المعجم أو قاموس اللغة: هو مجموع الوجوه الصرفية المعجمية المحددة في أصناف من الخصائص المميزة، فنجد أن كلمة الأم تحدد في المعجم بأنها اسم مؤنث حي إنساني. فالأصل هو الذي يحدد الرموز: «ال» أداة التعريف، «س» اسم، «ف» فعل في الحاضر. والمعجم يستبدل كل رمز بكلمة من اللغة.

الأم (ال + أم) زمان (ز) أنهت النسج.

قواعد تحويل هذه البنية العميقة إلى بنية ظاهرة

ال + أم انتهت + زمان + ال + نسيج (الأم نسجت)

وفي الوقت ذاته تخرج في قواعد صوتية: الأم أنهت النسيج.

فاستنتجنا من خلال الأصل مجموعة من المقومات النهائية (terminales) والمكونات النحوية سواء من حيث العدد أو من حيث الحال.

يضاف إليها الصيغ الصرفية وهي مهيأة لاستقبال المعاني حسب القواعد الموجودة في الصيغ الدلالية، ولكي تتحقق تعرض على المنوال التحويلي.

وعمليات التحويل تقلب البنيات العميقة إلى بنيات ظاهرة دون أن تمس بالتحويل؛ أي بالتأويل الدلالي الذي يجري في مستوى البنيات العميقة، أما التحويلات التي كانت وراء وجود بعض المقومات فإنها تتم في مرحلتين؛ إحداهما بالتحويل البنيوي للسلسلة التركيبية لكي نعرف انسجامها مع تحويل معين، والثاني باستبدال بنية هذا التركيب بالزيادة أو بالحذف أو بتغيير الموضوع أو بالإبدال، فنصل حينئذ إلى سلسلة متتالية من التحويلات تتطابق مع البنية الخارجية، وهكذا يكون حضور العامل المجهول في متتالية الأصل تؤدي إلى تغيرات تجعل من جملة: الأب يقرأ الجريدة / الجريدة قرئت من الأب، وهذه السلسلة من الكلمات المتتالية تحول إلى جملة منجزة بالفعل في المستوى الحرفي والصوتي، وهذه القواعد تحدد الكلمة المشتقة من التصرف في النسيج المعجمي وفي المقومات النحوية، وتزودها ببنية صوتية، فالتركيب الحرفي هو الذي يحول المفردة المعجمية «الطفل» إلى جملة من العلامات الصوتية: ال/طف/ل، وعلى النظرية التوليدية أن تعطينا قاعدة صوتية (عامة) كونية تمكن من وضع قائمة للوجوه الصوتية وقائمة للأنسجة الممكنة في هذه التراكيب باعتمادها على النسخة الأم، أي النسخة الكونية (القادرة على ضبط قائمة بالخصائص الصوتية، وقائمة بالتراكيب الممكنة بين هذه الخصائص والأنسجة الممكنة التي تلتئم معها).

4- خلاصة:

إن النتائج التي توصلت إليها اللسانية الغربية نتائج دقيقة؛ لأنها قامت على أسس علمية دقيقة، ووفق منهج علمي واضح المعالم، فأحدثت ثورة في علم اللغة، وقلبت المفاهيم رأسا على عقب، وقد أفاد منها اللسانيون العرب بما جلبوه منها من مفاهيم ونظريات، من شأنها أن تزيد الدرس اللغوي العربي إضافات جديدة. لكن يجب علينا أن نتمسك بأيديولوجيا تختلف اختلافا جذريا عن الإيديولوجيا الغربية، وأن نتمعن فيما نأخذه منها بشكل فاحص، ونكون برغماتيين إلى أقصى حد، ونأخذ ما ينفعنا، ولا نلوي عنق اللغة كي تتوافق مع هذه المناهج.

المحاضرة الثامنة

اللسانيات التمهيدية واللسانيات المتخصصة

1- توطـئة:

نشأت اللسانيات بوصفها علما جديدا في رحم الحوض المعرفي الغربي، حيث غدت معرفة لها أهميتها في المجالات المعرفية المختلفة، وذلك من خلال النتائج المبهرة التي توصلت إليها، وأصبحت وسيلة ناجعة استعملت في ميادين معرفية شتى، وقد شقت اللسانيات طريقها لتغدو العلم الذي يتصل بكافة العلوم، وأثبتت ضروريتها لكل هذه العلوم، حيث أضحت وسيلة ضرورية لا يمكن لأي علم من العلوم الاستغناء عنها.

والمتتبع للبحث اللساني العربي منذ نشأته يجد أن اللسانيات العربية لم تبلغ المستوى المطلوب، أو بالأحرى لم تبلغ ما وصلت إليه في الغرب، رغم مرور زمن غير يسير، ورغم وجود بحوث لسانية عربية كثيرة.

والسؤال الذي يبقى مطروحا في مجال اللسانيات في الدرس العربي: ما هو واقع اللسانيات العربية؟ وما آفاق ذلك؟

2- اللسانيات التمهيدية:

إن تحديد لحظة النشأة، فيما يتعلق بالدرس اللساني العربي الحديث يرتبط برصد ظروفها وملابساتها، من حيث ارتباطها بالمناخ العام الذي حكم الفكر العربي الحديث ابتداء مما عرف بعصر النهضة العربية أوائل القرن التاسع عشر، الذي كان وليد ظروف التدخل الاستعماري في البلاد العربية.

وقد شكل القرن التاسع عشر منعطفا حاسما في تكوين الفكر العربي الحديث، إذ وجد هذا الأخير نفسه أمام ضرورة القيام بمشاريع إصلاحية كبرى على المستويات جميعها، وضرورة إعادة النظر في أوضاع هذا الفكر لمواكبة التطور الحاصل في الغرب.

لقد وضع هذا الوعيُ العربَ أمام نموذجين حضاريين، وجعل اللسانيات العربية الحديثة تعيش حالة من المد والجزر بين طرفين؛ أولهما عائد إلى الماضي بوصفه هوية الأمة الواجب الحفاظ

عليها، بتكريسها كرؤية صالحة لكل زمان ومكان، والتي يعد تجاوزها شكلا من أشكال الخيانة، معتمدا في طرحه على أساليب التقويل والاستنطاق، محاولا ربط كل جديد يظهر بالتراث، وثانيهما يعمل على تمثّل الحاضر بوصفه عملا وُضع لزمن غير زمننا، ويعالج قضايا لم يعد لها وجود في واقعنا، وهو يمارس عبر طرحه كل أشكال الاستيراد والتبني للمناهج والرؤى الغربية على النتاج الفكري واللغوي بحجج مختلفة كالعلمية والعالمية والحداثة وغيرها، وبذلك كان الفكر العربي الحديث يتشكل بقطبين متنافرين؛ سلفي يحاول أن يعيد إنتاج الموروث الحضاري العربي الإسلامي بصيغته القديمة نفسها، أو بصيغة معدلة تعديلا جزئيا، وحداثي يحاول أن يتبنى المسار الحضاري الغربي بكل تفصيلاته، ويعلن القطيعة مع القطب الأول.

تهتم اللسانيات التمهيدية بما تقدمه النظريات اللسانية الحديثة من مبادئ ومناهج جديدة في دراسة اللغة البشرية بصفة عامة، إذ تعتمد المنهج التعليمي القائم على التوضيح وما يتطلبه كل ذلك من وسائل مساعدة كالأمثلة والرسوم البيانية، وهدفها تقديم المفاهيم النظرية والمنهجية للسانيات بشكل مبسط، قصد تيسير المعرفة اللسانية للقارئ العربي سواء أيلج عالم التخصص أم قارئا يروم التسلح بالمفاهيم والقضايا اللسانية للاستفادة منها في مجالات فكرية أخرى من فكر أو نقد أو تاريخ أو غير ذلك من الميادين المشتركة.

يتضح من خلال ما تقدم أن موضوع اللسانيات التمهيدية هو النظريات اللسانية؛ مبادؤها ومناهجها واتجاهاتها وأعلامها، أما هدفها فهو تبسيط المعرفة اللسانية للقارئ سواء أكان متخصصا أم مبتدئا يروم المبادئ اللسانية.

3- <u>اللسانيات المتخصصة:</u>

إذا كانت الكتابات اللسانية التمهيدية تقدم للقارئ العربي خاصة الآليات التي يجب تتبعها في البحث اللساني، أو في دراسة اللغة دراسة علمية، فإن هذا التقديم يبقى مجرد محاولات نظرية تدعو إلى تطبيق المناهج الحديثة (الغربية) في أي دراسة لغوية أو الاستفادة منها على الأقل، من هنا وجب التفريق بين ما هو نظري (اللسانيات التمهيدية) وبين اتجاه يعنى أكثر بالشق التطبيقي للدراسات، حيث استفاد هذا الأخير من المناهج اللسانية، وذلك من خلال اعتماده على ثلاثة اتجاهات رئيسة:

- اتجاه بنيوي وصفي.

- اتجاه توليدي تحويلي.
- اتجاه تداولي وظيفي.

أ -اتجاه بنيوي وصفي:

يرتبط ظهور المنهج البنيوي الوصفي بالعالم اللغوي "فرديناند دو سوسير"، حيث اعتمد على الوحدات الشكلية (البنى) في تقييم الكلام المنطوق بالانتقال من المركب إلى البسيط، وهذه النظرة أحدثت ثورة في عالم الدراسات اللغوية، بما قدمته في هذا المجال، والتغيير الذي أحدثته، حيث حولت مسارها من الاقتصار على الدراسات الفيلولوجية للغات إلى دراسات وصفية بنيوية.

وقد حاول كثير من الباحثين العرب ممن كتبوا كتابات لسانية وصفية تطبيق هذه النظرة على اللغة العربية، لكنهم لم ينطلقوا -كما فعل اللسانيون الغربيون- من طبيعة اللغة العربية في عملية الوصف، فهم اكتفوا بمحاولة تطبيق بعض المفاهيم التي روجتها اللسانيات الوصفية الغربية على اللغة العربية.

وقد تميّزت هذه الكتابات اللسانية العربية بتعاملها مع مبادئ اللسانيات العامة، فاتّسمت دراسة قضايا اللغة العربية من الناحية الوصفية بكثير من السطحية والتبسيط بسبب انعدام التحليل الوصفي العميق، ومن أمثلة ذلك قولهم: بما أن الجملة عملية إسنادية فلا فائدة من تقسيمها إلى جملة فعلية وجملة اسمية، فالجملة التي تبدأ باسم مسند إليه أو بفعل مسند هي في كلتا الحالتين جملة إسنادية ولا فرق مثلا بين قولك: "جلس الولد" أو "الولد جلس".

فالجملتان السابقتان متماثلتان لم يطرأ عليهما أي تغيير وظيفي، ولذا ترسمان في المخطط المشجر المبسط على الشكل التالي:

إذا نظرنا إلى الجملتين أعلاه من الناحية الشكلية فإنهما تؤديان المعنى نفسه، والمنحى الوظيفي ذاته، من هنا يرى بعض الباحثين أن «كل جملة مفيدة تتألف من موضوع، أي شيء يتكلم عنه، ومن خبر عن موضوع، هذا يسقط من الحسبان الجملة الاسمية والفعلية»[1]

وفي هذا الضرب من التحليل لبنية اللغة العربية من الناحية الوصفية خلل منهجي نظرا للتحليل المبسط والسطحي لأحد أهم المشاكل التي تعترض اللغات الإنسانية، والمتعلقة بمشكل الرتبة، حيث يمكن للمتتبع أن يلاحظ اعتماد هذا النوع من التحليل لكل ما هو سطحي وشكلي في دراسة موقع بعض الوحدات داخل الجملة مثل وجود الفعل قبل الاسم أو بعده.

فالكتابة الوصفية العربية لم تنطلق من طبيعة اللغة العربية في عملية الوصف، بل اكتفت بمحاولة تطبيق بعض المفاهيم الوصفية الشائعة، ولم تراع خصائص اللغة المدروسة (العربية) ولا أساليبها التي تختلف اختلافا جذريا عن اللغات المستقاة منها تلك المفاهيم.

ب – الاتجاه التوليدي التحويلي:

قد عرفت اللسانيات تطورا هائلا في الغرب بعد ظهور المدرسة التوليدية التحويلية في أمريكا على يد العالم للغوي "نعوم تشومسكي"، حيث أحدثت ثورة في تاريخ علم اللغة الحديث بما قدمه زعيمها من أفكار وآراء رائدة في مجال الدراسات اللغوية، وكان لهذا التحول الأثر البارز على الدراسات اللسانية العربية، وقد انتبه إلى أهمية هذه الدراسات كثير من الدارسين العرب، وذلك في بداية السبعينيات من القرن العشرين، حيث ظهر ما يعرف بالكتابة اللسانية التوليدية العربية.

واتسمت هذه الكتابة بتعدد مصادرها وأصولها واختلاف النماذج التوليدية التي تم من خلالها النظر إلى قضايا اللغة العربية وفق التطورات التي عرفتها نظرية النحو التوليدي التحويلي، قد نتج عن هذا التعدد جملة من التحليلات التي تتبنى وصف اللغة العربية توليديا، وأبرز هذه المحاولات محاولة عبد القادر الفاسي الفهري، ومحاولة خليل أحمد عمايرة، ومحاولة مازن الوعر.

والجدير بالذكر أن الكتابة التوليدية العربية قد قدمت جملة من الاقتراحات الجديدة المتعلقة بطبيعة البنيات العربية صوتا وصرفا وتركيبا ودلالة ومعجما.

1– أنيس فريحة، في اللغة العربية وبعض مشكلاتها دار النهار للنشر، بيروت، (ط1)، 1966، ص 75.

ومن خلال المجهودات المتواصلة في حقل الكتابة التوليدية التحويلية تحققت مجموعة من الأهداف؛ يمكن تلخيص فيما يلي:

- تمكنها من صياغة قواعد للظواهر اللغوية المدروسة تتسم بالبساطة والوضوح، على غرار ما هو معروف في النحو التوليدي.
- تقديم قواعد عامة تفسر المعطيات تفسيرا شموليا.
- إثراء البحث اللساني العربي.
- تقريب الدرس اللساني العربي من واقع البحث اللساني العالمي.
- تعميق المعرفة العلمية باللغة العربية.
- إثارة إشكالات جديدة واقتراح الحلول المنهجية الممكنة.
- التحليل العميق والشامل للغة العربية.

ورغم ما أضافه هذا الاتجاه في دراسة اللغة العربية دراسة علمية وفق المنهج التوليدي التحويلي، وما توصل إليه من أهداف ونتائج لا تقل عن الأهداف التي حققتها الدراسات الغربية، إلا أن هناك بعض النقائص التي شابت البحث لدى أصحاب هذا الاتجاه، يمكن تلخيصها فيما يلي:

- المعالجة الجزئية لقضايا اللغة العربية والخلط بين النماذج اللسانية.
- عدم تقديم بحث توليدي كامل للغة العربية.
- عدم التدقيق في فرضياتها ومدى ملاءمتها للغة العربية.
- الاكتفاء بتقديم اللبنات الأولى للقضايا التي يقترحها التوليديون، والتحول إلى موضوعات جديدة، مطبقين ما ظهر من افتراضات جديدة في البحث اللساني التوليدي دون الرجوع إلى المواضيع الأولى إلا في القليل النادر.

ج – الاتجاه التداولي الوظيفي:

لم تهتم اللسانيات الوظيفية ببنية اللغة أو شكلها الخارجي بقدر اهتمامها بالجانب التداولي، والملاحظ لمصادرها يجدها موزعة بين المنطق والفلسفة اللغوية وبعض النظريات الحديثة، فمن المصادر الأساسية في المنطق أعمال "كارناب" و"راسل" و"طارسكي"؛ وهي مصادر تتعلق بظواهر الإحالة والتضمنات والاقتضاءات وعلاقة الدلالة بالتركيب، أما المصادر الفلسفية، فتشمل أعمال "

شارل موريس" في نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين، حيث قسم "موريس" مجال البحث السيميائي إلى مستويات ثلاثة؛ هي: التركيب والدلالة والتداول، وأسهمت المباحث الفلسفية اللغوية الحديثة في تطور بعض مظاهر الدرس اللساني في الاتجاه التداولي الوظيفي، ويتعلق الأمر بما عرف بفلسفة اللغة العادية أو الفلسفة التحليلية، ومن رواد هذا الاتجاه "فتجانشتين" و"أوستين".

وهنا يتوصل الباحث "مصطفى غلفان" عند حديثه عن تلك المصادر والأسس إلى نتيجة هامة مفادها؛ غياب أي اهتمام حقيقي بالدراسات التداولية العصرية في الثقافة العربية، والمحاولة الوحيدة التي وقف عليها هي محاولة "طه عبد الرحمن" وهو أحد المفكرين العرب الأوائل الذين عرفوا بالفكر التداولي، حيث حاول تطبيقه في بعض اتجاهات الثقافة العربية الإسلامية، فقد اهتم بالقضايا التداولية من وجهة نظر منطقية وفلسفية مستمدا وسائله النظرية والمنهجية من علمين حققا نتائج مبهرة؛ هما اللسانيات والمنطق.

ولقد عرفت اللسانيات الوظيفية تطورات متلاحقة تمثلت في أعمال مدرسة براغ، وأعمال اللسانيين التشيكيين المعروفة بالوجهة الوظيفية للجملة، والمدرسة النسقية، وهذا ما عرضت له الكتب بالدرس والتحليل، كما عرضت لمبادئ النحو الوظيفي وبنيته العامة المتمثلة في البنية الحملية، والبنية الوظيفية، والبنية المكونية، وتبنى هذه البنيات بتطبيق ثلاثة أنواع من القواعد؛ قواعد الأساس، وقواعد إسناد الوظائف التركيبية والتداولية، وقواعد التعبير، لتصل بعد ذلك إلى نحو اللغة العربية الوظيفي الذي تمثله كتابات أحمد المتوكل، وهي متابعة دقيقة لتطورات نظرية النحو الوظيفي التي وضعها "سيمون ديك"، كما تتميز هذه الكتابات بوحدة الرؤية النظرية والمنهجية المحددة بأصول اللسانيات الوظيفية وتكييفها مع معطيات اللغة العربية، ونتج عن هذه الوحدة نظرة شمولية لظواهر اللغة العربية المدروسة والتكامل فيما بينها.

4- <u>خلاصة:</u>

نستخلص مما سبق أن الصفات النظرية والمنهجية التي ميزت البحث اللساني العربي، هي مميزات تكشف عن اختلاف بين اللسانيين العرب، وتفاوت واضح في التعاطي مع الدرس اللساني، فكل باحث يتعامل معه على حسب اتجاهه ونظرته وطريقته في التعامل مع المعطيات اللسانية الغربية الحديثة، ومع التراث اللغوي العربي، وطبيعة اللغة العربية في حد ذاتها، وهذه الاختلافات هي

التي حكمت بعجز أو نجاح هذه الاتجاهات في تحقيق أهدافها والسمو بالدرس اللساني العربي الحديث وتوجيهه وجهة صحيحة تتسم بالدقة والضبط.

المحاضرة التاسعة

البحوث اللسانية العربية

1- توطئة:

أحد ظهور اللسانيات العربية الحديثة مع مطلع القرن العشرين حركة فكرية ضخمة في الوطن العربي، أسفرت عن كتابات عديدة حول مواضيع متعددة، وكانت الدراسة فيها حول اللغة العربية والتواصل اللساني بشكل عام.

وعلى الرغم من تأخر الدرس اللساني العربي، إلا أن هناك كثيرا من الباحثين الذين قاموا بمحاولات عديدة لمواكبة الدرس اللساني الغربي والوصول إلى نتائج دقيقة تضاهي ما وصلت إليه اللسانيات الغربية من نتائج مبهرة.

وسنعرض بعض النماذج في الكتابات اللسانية العربية لباحثين أقل أن يقال عنهم أنهم كانوا سببا مباشرا في تطور الدرس اللساني العربي.

2- إرهاصات البحث اللساني:

من المعلوم أن الاتصال الحقيقي بين الفكر اللساني الغربي والفكر اللغوي العربي بدأ في فترة الأربعينيات من القرن الماضي، بظهور مجموعة من الباحثين العرب الذين تتلمذوا على يد بعض اللسانيين الغربيين من أمثال (جون روبرت فيرث J.R.firth) أستاذ اللسانيات العامة بجامعة لندن بين الفترة 1944 و1960، وتلميذيه "جوزيف فندريس" و"أنطوان مييه"، حيث إن مجموعة من الباحثين المصريين العائدين من أوروبا وأمريكا تأثروا بأفكار اللسانيين الغربيين ونقلوها إلى بلادهم بغية الانتفاع بها في دراسة اللغة العربية.

وأبرز الكتابات التي تأثرت بهذا الفكر الغربي الجديد كتابات "رفاعة الطهطاوي" في دعوته إنشاء مجمع للغة العربية على غرار المجمع العلمي الفرنسي، وفي كتابات "جورجي زيدان" وتأثره بالنزعة الداروينية التي كانت سائدة في تلك الفترة، وبنظرية النشوء والارتقاء، ونظرية النمو التلقائي للكائنات.

ومن الباحثين الذين تأثروا بالدراسات الغربية الدكتور "إبراهيم مصطفى" حيث حاول إدخال النموذج الغربي في الدراسات العربية من خلال مؤلفه "إحياء النحو"، هذا المؤلف الذي أثار جدلا كبيرا في أوساط الباحثين العرب.

وتعدّ الفيلولوجيا (فقه اللغة) الغربية المؤثر الفعلي في البحث اللغوي العربي، إذ أدخل المستشرقون الألمان نمط التفكير الفيلولوجي إلى البلاد العربية، حيث شكلت بحوثهم إطارا مرجعيا لجملة من البحوث والدراسات اللغوية العربية، ويمكن عدّ سلسلة التأليف اللغوية التي اتخذت من فقه اللغة عنوانا لها أو نموذجا لهذا التأثير بدءا بكتاب "علي عبد الواحد وافي" فقه اللغة الصادر عام 1937.

ويرى كثير من الباحثين أن هذه الدراسات والبحوث لا تعدو أن تكون إلا محاولات لتطوير الدرس اللغوي العربي، ورغم أنها لم ترق إلى مستوى البحث اللساني المنشود، أو لم تدر عجلة التطور اللساني في الوطن العربي، إلا أنها أحدثت جدلا كبيرا في الوسط البحثي، وغرست بذرة تفكير في إعادة قراءة التراث قراءة حديثة.

3- الكتابات اللسانية:

رغم تأخر الدرس اللساني العربي الحديث عن نظيره الغربي بفترة غير يسيرة من الزمن، ورغم أن الكتابات الأولى في المجال اللساني لم ترق إلى المستوى المطلوب، إلا أن عجلة البحث في هذا الميدان لم تتوقف –وإن كانت تسير ببطء– وظهر باحثون كثر خاضوا في هذا العلم، وولجوا أغواره، حيث تُعدّ كتاباتهم وبحوثهم اللغوية بداية للتأصيل اللساني بوصفه علما جديدا في الوطن العربي، وسيأتي ذكر بعضهم.

3-1- علي عبد الواحد وافي:

لقد أسهم الدكتور علي عبد الوافي (1901-1991) في حقل الدرس اللساني بمؤلَفه "علم اللغة" بوصفه أول مؤلَف في علم اللغة الحديث، ورغم أن كثيرا من المؤرخين اللسانيين لا يرون أن هذا الكتاب هو الانطلاقة الحقيقة للتأصيل للدرس اللساني الحديث، لأنه لا يوجد في الكتاب اسم أحد أعلام الدراسات الوصفية أو مدارسها، ومعظم من ذكرهم المؤلف هم من أصحاب الدراسات التاريخية والمقارنة، إلا أن هذا المؤلَف حسب كثير من الباحثين هو أول مؤلف في علم اللغة الحديث بمعناه الحديث، والانطلاقة الحقيقية في ذلك.

3-2- إبراهيم أنيس:

يعدّ إبراهيم أنيس (1906-1978م) أول اللغويين العرب المحدثين المختصين، وذلك من خلال كتابه "الأصوات اللغوية" الذي صدر سنة 1947، حيث عدّه كثير من الباحثين أول كتاب مؤلف

باللغة العربية يعرض الموضوع من وجهة نظر العلم الحديث، حيث يتضمن الكتاب دراسة متكاملة عن الأصوات، وسبل دراستها خاصة أصوات اللغة العربية وفق المنهج الحديث.

3-3- تمام حسان:

قد أسهم تمام حسان (1918-2011م) بكتابه "مناهج البحث في اللغة" في مجال الدرس اللساني، حيث يعدّ هذا الكتاب أول كتاب يقدم باللغة العربية المفاهيم الأساسية للسانيات بوصفها علما جديدا، وبوصفها علما دخيلا، حيث أرسى فيه حسان أهم الأسس والقواعد المنهجية، وقدم فيه الدرس اللساني وفق معطيات علم اللغة الحديث من منظوره الغربي.

كما كان لمؤلَفه "اللغة العربية معناها ومبناها" الذي دعا فيه إلى إعادة وصف اللغة العربية وفق المنظور اللساني الحديث الأثر البارز في الدرس اللساني العربي، حيث شغل هذا الكتاب تفكير الدارسين العرب لما جاء فيه من نقد لنظريات قديمة واقتراح أنموذج جديد لإعادة وصف اللغة العربية، يقول سعد مصلوح: «ويقف في الصدارة من هذه المحاولات كتاب أستاذنا تمام حسان "اللغة العربية معناها ومبناها"، إذ هو جهد بصيري في جوهره جميع ما سبقه من جهود... بيد أنه مؤهل – ولا سيما بنظريته في القرائن النحوية والتعليق- لأن يكون منطلقا رصينا لارتياد آفاق جديدة يكون فيها النحو قطب الطرق التحليلية في دراسة النص»[1]

ويصف بعض الباحثين أن حسان خلق قاعدة منهجية حركت عجلة البحث اللغوي وطورت منهجه، ويقول في ذلك "محمود نحلة": «لا أعرف باحثا استطاع أن يطور منهجا جديدا من التراث النحوي والبلاغي، معتمدا على منهج من مناهج الدرس اللغوي الحديث، غير الدكتور تمام حسان في كتابه الذي أصدره سنة 1973، وهو "اللغة العربية معناها ومبناها"»[2]

3-4- محمود السعران:

يعدّ محمود السعران من أوائل الباحثين الذين عرضوا وضعية علم اللغة الحديث في الوطن العربي مقارنة بما هو عليه في الغرب عرضا فيه تفصيل وإحاطة، وقدم مفهوما جديدا لعلم اللغة الحديث، وهو يقول في هذا الصدد: «إن علم اللغة هو وجهة النظر الجديدة أو الفلسفة الحديثة التي

1- سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة –دراسات ومثاقفات، ص 204.

2- محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط)، 1988، ص 274.

حلت محل وجهات النظر القديمة والفلسفات اللغوية السابقة، وقد قدّم مبادئ لا شك أنها أكمل وأصدق وأضبط، واعتمد على وسائل وآلات أدق مرات ومرات من وسائل الأقدمين وآلاتهم»[1]

وقد حدد محمود السعران مجموعة من العوائق التي اعترضت البحث اللساني العربي، وهي في حقيقتها صعوبات حالت دون أن يبلغ الدرس اللساني في الوطن العربي ما بلغه نظيره في البلاد الغربية، وقد أجملها الدكتور "مصطفى غلفان" في كتابه "اللسانيات العربية أسئلة المنهج" فيما يلي:

- الفهم السيء لمضمون علم اللغة، والخلط بينه وبين معرفة اللغة في الكتب اللغوية العربية القديمة.
- عدم اطلاع المهتمين باللغة من العرب على علم اللغة الحديث مكتفين بالبحث اللغوي القديم، معتبرين علم اللغة الجديد دخيلا على الثقافة العربية.
- عدم التمييز بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية.
- الفهم القاصر لطبيعة اللغة ووظيفتها وطرائق دراستها.
- الأوهام الراسخة في عقول العرب نتيجة دراستنا لجوانب من النشاط اللغوي العربي القديم، كالتقسيم الثلاثي للكلمة.
- عدم التمييز بين النحو واللغة؛ حيث يظن كثير من الباحثين أن الفصحى هي النحو، الأمر الذي يترتب عنه تقديس بالغ للنحو.
- وضع المصطلح اللغوي بالعربية الذي يتسم بكثير من الخلط والغموض، نتيجة سوء فهم تصورات علم اللغة الحديث من خلال مصطلحات لغوية عربية قديمة تعبر عن تصورات مغايرة كليا لتصورات علم اللغة الحديث.

3-5- عبد القادر الفاسي الفهري:

يعد الفاسي الفهري أنموذجا متميزا في اللسانيات العربية المعاصرة من خلال ما أسهم به من تطوير الخطاب اللساني العربي المعاصر، وما قدمه من نقد منهجي لهذا الخطاب، فضلا عن تحليله المنهجي الدقيق للأسس الفكرية والمنهجية في تحليل اللغة العربية في إطار النظرية التوليدية التي يتبناها.

1- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د، ط)، 1962، ص 17.

وقد ظهرت الكتابة اللسانية التوليدية العربية حديثا، وعُدّت محاولات رائدة واكبت بعض التطورات التي عرفتها نظرية النحو التوليدي التحويلي، لذلك اتسمت هذه الكتابة بتعدد مصادرها وأصولها واختلاف النماذج التوليدية، التي تم من خلالها النظر إلى قضايا اللغة العربية، وقد نتج عن هذا التعدد جملة من التحاليل التي تتبنى وصف اللغة العربية توليديا، حيث كان عبد القادر الفاسي الفهري رائدا فيها، واستطاع تفصيل الأطر النظرية والمنهجية للنظرية التوليدية، وتحديد التغيرات التي عرفتها في نظمها الأصلية لتصل إلى الكشف عن خصوصيات الكتابة التوليدية في الثقافة العربية.

والمتتبع لمسار الدرس التوليدي في الثقافة العربية يلاحظ أن الكتابة التوليدية العربية قد تمكنت من تقديم جملة من الاقتراحات الجديدة المتعلقة بطبيعة البنيات العربية صوتا وصرفا وتركيبا ودلالة ومعجما، وجاءت بعض هذه الكتابات مضاهية شكلا ومضمونا لنظيرتها الغربية من أوجه عدة في مقدمتها تقيدها المطلق بشروط وقواعد البحث العلمي اللساني.

ولقد عرفت النماذج التوليدية تطورات متلاحقة، فرضت على كل باحث في إطار البحث اللساني التوليدي مواكبة المستجدات والمتغيرات الطارئة، ويقول "مصطفى غلفان" في ذلك: «أصبحت دراسة اللغة العربية محكومة بجملة من الأصول والمفاهيم النظرية والمنهجية المضبوطة، فمن دون معرفة الإطار الذي تندرج فيه هذه الكتابة أو تلك، لا يمكن بأي حال من الأحوال إدراك طبيعة تحليل المقدمة ونتائجها النظرية، فلم يعد ينظر للغة العربية نظرة حرة اعتباطية قائمة على التأمل والانطباع؛ إنما تتقيد المقاربة بالإطار النظري للنموذج الذي تشتغل فيه وتحاول تطبيقه على اللغة العربية مستعملة مجموعة من وسائل الاستدلال والبرهنة على ما تقوم به»[1]

وقد حققت الكتابة التوليدية التحويلية مجموعة من الأهداف من خلال المجهودات المتواصلة التي قام بها الباحثون العرب، وقد لخصها الباحث "إسماعيلي علوي" في:

- صياغة قواعد للظواهر اللغوية المدروسة تتسم بالبساطة والوضوح على غرار ما هو معروف في النحو التوليدي، وتقديم قواعد عامة تفسر المعطيات تفسيرا شموليا.
- التحليل العميق والشامل للغة العربية.

1- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية والمنهجية، ص 203.

- تقريب الدرس اللساني العربي من واقع البحث اللساني العالمي، وتعميق المعرفة العلمية باللغة العربية.
- إثراء البحث اللساني العربي، وإثارة إشكالات جديدة واقتراح الحلول المنهجية الممكنة.

3-6- عبد الرحمان الحاج صالح:

لا يخفى على أحد مكانة الحاج صالح في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، إذ الرجل صاحب نظرية لسانية جديرة أن تكون بديلة عن النظرية الغربية، فضلا عن كتاباته الرائدة في مجال اللسانيات، فالرجل مطلع على جلّ النتائج التي وصلت إليها الدراسات اللسانية الغربية، ومطلع بشكل فاحص على الدراسات التراثية العربية.

ولا نستطرد في إسهامات الحاج صالح في اللسانيات العربية لأننا خصصنا عنصرا لجهوده في النظرية الخليلية الحديثة؛ ونشاطاته في المجامع اللغوية العربية والعالمية، وكذا كتاباته اللسانية ومقالاته المنشورة في مختلف المجلات والدوريات.

4- خلاصة:

رغم أن كثيرا من الدارسين العرب يرون أن الدرس اللساني العربي لم يتوصل إلى النتائج المرجوة منه، أو لم يبلغ المبلغ الذي بلغه نظيره الغربي، إلا أن البدايات تحفها دائما عوائق وصعوبات، ولكن رغم هذا فقد قطع شوطا لا يستهان به من البحث الجاد والعمل المتواصل بفضل مجموعة من الباحثين الذين شمروا على سواعد الجد والاجتهاد، وما علينا نحن ليس الترقب والانتقاد بل الاستمرار، إذ يجب تشخيص الواقع اللغوي العربي تشخيصا دقيقا وفق معطيات علمية مضبوطة وتخطي العقبات التي صادفت الباحثين من قبل، وإيجاد الحلول المناسبة للإشكالات المطروحة سابقا بغية دفع عجلة البحث والوصول بالدراسات اللغوية العربية إلى مستويات أرقى.

المحاضرة العاشرة

اللسانيات الصوتية

1- مــدخـل:

اهتم النحويون الأوائل بالقضايا الصوتية، حيث شغلت صفحات عدة في أمهات الكتب النحوية، و"الكتاب" لسيبويه أقدم الكتب النحوية وصولا إلينا، وقد ضمّ صفحات قيّمة في الدراسات الصوتية، إذ جعل البحث الصوتي وسيلة هامة من وسائل اللغوي، حيث فسّر عددا من الظواهر كالإدغام ...، وعند القرّاء وسيلة لوصف الظواهر الصوتية.

وكما رأينا سابقا في نشأة الدرس الصوتي فلقد حظي باهتمام خاص لدى الدارسين العرب القدامى على اختلاف توجهاتهم العلمية (القرّاء والنحاة وعلماء الأصول وغيرهم)؛ بل اتخذت الظواهر الصوتية أساسا هاما في وضع المعايير التأسيسية للنحو العربي.

وقد تواصلت الدراسات الصوتية حتى عصرنا هذا، وخاض فيها علماء كثر استندوا على ما توصل إليه السابقون، وما توصلت إليه الدراسات الحديثة خاصة النتائج المتوصل إليها في مدرسة "براغ".

لكن هل الدراسات الصوتية العربية الحديثة تعد امتدادا للدراسات العربية القديمة في المجال الصوتي؟ أم هي نسخة عن الدراسات الغربية الحديثة؟

2- بدايات الدرس اللساني العربي الحديث:

لا شك في أن الدراسات الصوتية العربية بدأت مبكرة مع نزول القرآن الكريم وبداية الدراسات النحوية، حيث بلغ العرب في المجال الصوتي مبلغا لا يستهان به، بل وصلوا إلى نتائج مبهرة، ربما لم تتوصل إلى بعضها الدراسات اللسانية المعاصرة، لكن سنكتفي هنا بالحديث عن الدرس الصوتي الحديث، لأننا قد تعرضنا لجهود القدماء في الجانب الصوتي في موضعين؛ عند حديثنا عن نشأة اللسانيات العربية، وفي عرضنا لتطورها، وسنعرج بالذكر عن بعض الأعلام الذين أثْروا في هذا المجال بمجهودات معتبرة، ذاكرين بعض هذه المجهودات.

2-1- إبراهيم أنيس وكتاب الأصوات اللغوية:

يعدّ إبراهيم أنيس من الأوائل الذين أدخلوا الفكر الغربي والأفكار اللسانية الغربية على الدراسات اللغوية العربية، وكانت جهود الباحث في الجانب الصوتي من خلال مؤلفه الشهير "الأصوات

اللغوية" بوصفه أول مؤلف صوتي عربي حديث، ، وعُدّ من أهم الكتب التي ألفت في الدراسات الصوتية الحديثة، متأثرا فيه بما وصلت إليه الدراسات الصوتية الغربية خاصة مدرسة براغ، ومن خلال مؤلفه الثاني "دلالة الألفاظ في اللهجات العربية".

لكن اللافت للانتباه أن إبراهيم أنيس رغم توجهه الغربي في دراسته سواء الصوتية أو اللغوية بشكل عام لم يغفل عن الدراسات القديمة، فقد أفاد منها كثيرا، حيث يرى بعضهم أن محاولة أنيس في وضع قواعد وأسس لعلم الأصوات الحديث هي: «أول محاولة عربية لوصف أصوات العربية وصفا جديدا، أفاد فيها من جهود القدماء والمحدثين كليهما»[1]

وقد ركّز في كتابه هذا على أساسيات علم الأصوات وقضاياه، إذ عالج فيه قضايا عدة من منظور علم اللغة الحديث، ونذكر منها ما يلي:

- ظاهرة الصوت من منظور علم الطبيعة وعلم التشريح.
- عرض أعضاء النطق وأعضاء السمع.
- بيّن خصائص الهواء الذي تنتقل فيه الأصوات.
- حدّد مخارج الأصوات وصفاتها.
- عالج ظواهر الصوت.

وعموما يمكننا أن نعد محاولة إبراهيم أنيس انطلاقة حقيقية لدرس لغوي عربي مغاير عن الدراسات التقليدية، ووفق معالم جديدة، استند فيها على الأفكار الغربية الحديثة والنتائج المبهرة التي وصلت إليها الدراسات الغربية، حتى تكون دراسته دراسة منهجية تكفل التطور للغة العربية.

2-2- كمال بشر وكتاب الأصوات:

كمال بشر من بين الباحثين المتأثرين بالدراسات اللغوية الغربية الحديثة والنتائج التي توصلت إليها، وقد خاض الباحث في مجالات اللغة المختلفة، وفي مستويات اللغة بفيض من المؤلفات، لكن ما يهمنا هنا هو الجانب الصوتي.

1- فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس المساني العربي الحديث، ص 32.

وكمال بشر من أوائل المحدثين العرب الذين درسوا في الجامعات الغربية، ونقلوا جديد دراساتهم إلى الدرس اللغوي الحديث عند العرب، فكان كتابه (علم اللغة العام، الأصوات العربية) الصادر عام 1969م، من أسبق المؤلفات في دراسة الأصوات العربية دراسة حديثة.

وجاء كتابه وفق المنهج الحديث للدراسات اللغوية، فبدأ فيه بالحديث عن الدرس الصوتي بنظرة عامة، ومن ثم تناول الأصوات العربية، وأعضاء نطقها، ومخارج حروفها، وتحدث عن الأصوات وتقسيمها إلى صامتة وصائتة، وبيان صفات كلِّ قسمٍ منها: من جهر، وهمس، واحتكاك، وانفجار، وغير ذلك، ومن ثم تناول الجانب الفونولوجي المتمثل في دراسة الفونيمات والمقاطع، وما تتضمنه من أحوال صوتية، كالنبر، والتنغيم، والفواصل الصوتية، وفي نهاية الكتاب ذكر أهمية علم الأصوات في دراسة اللغة بشكلٍ عام.

2-3- أحمد مختار عمر وكتاب دراسة الصوت اللغوي:

اهتم الباحث أحمد مختار عمر بالدراسات الصوتية اهتماما بالغا، وتحدث عن الأصوات وما وصلت إليه الدراسات الصوتية الغربية الحديثة، حيث خصص مؤلفا كاملا للدراسات الصوتية عنونه بـ: "دراسة الصوت اللغوي".

ومن خلال هذا الكتاب يمكن أن نستشف نظرة أحمد مختار عمر إلى الدراسات الصوتية الغربية الحديثة، التي يرى بأنها تمثل المظهر المتطور في الدراسات الصوتية، حيث يقول: «ولعلنا لا نكون مبالغين حين نقرر أن المظهر المتطور لعلم اللغة الحديث لم يتمثل في أي فرع من فروع علم اللغة، مثلما تمثل في علم الأصوات بمناهجه المتعددة، ووسائل بحثه المختلفة وبآلاته وأجهزته المتطورة التي يستخدمها الآن في ميدان الدراسة»[1]

من خلال هذا القول نستشف تأثر أحمد مختار عمر بالدراسات الغربية الحديثة عموما، والدراسات الصوتية بصفة خاصة، ويشيد بكتابه في الصوتيات، حيث يرى أن كتابه هذا سيطلع القارئ العربي على مباحث علم الأصوات؛ لأن المكتبة العربية فقيرة في هذا النوع من البحوث أي حول علم الأصوات، ويقول عن علم الصوت بوصفه علما حديثا: «هو العلم الذي نقدم مباحثه للقارئ الآن تحت عنوان "دراسة الصوت اللغوي"، وإذا كانت المكتبة العربية قد حوت بضعة كتب في علم

1- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب للنشر، القاهرة، (د.ط)، 1991 ، ص14.

الأصوات اللغوية، فهي ما تزال فقيرة جدا في هذا اللون من البحوث، بالإضافة إلى أن التطور السريع لهذا العلم يسمح في أي لحظة بعدد آخر من الكتب دون خشية التكرار مع واحد مما سبق صدوره، لاسيما إذا كان الباحث على متابعة واتصال دائمين بآخر ما تنتجه المطبعة باللغات المختلفة»[1]

وقد قسم "أحمد مختار عمر" كتابه "دراسة الصوت اللغوي" إلى أبواب وفصول، حيث اتخذ مصطلحات وتقسيمات الدراسات الصوتية الغربية الحديثة، فبدأ حديثه بفصول تمهيدية خصص الأول منها لعلم الأصوات الأكوستيكي، والثاني لعلم الأصوات السمعي، والثالث لعلم الأصوات التجريبي.

واستعمل المصطلحات الصوتية التي جاءت في علم الأصوات الحديث مثل: فونتكس، فونولوجي، فونيمكس...، وقد جمعها في الفصل الرابع من الباب التمهيدي، وفي نهاية هذا الباب تحدث عن الكتابة الصوتية.

وبعد التمهيد لهذا العلم خصّص الباب الثاني من الكتاب للحديث عن علم الأصوات النطقي؛ حيث تضمن الفصل الأول أعضاء النطق، والثاني إنتاج الصوت اللغوي، والثالث خصصه للعلل والسواكن.

ويأتي الباب الثالث للحديث عن الوحدات الصوتية، حيث خصص الفصل الأول للحديث عن الفونيم، والثاني عن المقطع.

في حين أن أبواب وفصول الكتاب لم تتضمن مصطلحات ودراسات خاصة بالدراسات الصوتية الغربية فحسب، فقد خصص الباب الرابع لأصوات اللغة العربية، حيث تحدث في الفصل الأول من هذا الباب عن الفونيمات التركيبية، والفصل الثاني عن الفونيمات فوق التركيبية، أما الفصل الثالث فخصصه للتطور الحاصل في أصوات اللغة العربية.

3- خلاصة:

من خلال عرضنا لإرهاصات البحث الصوتي الحديث من خلال عرض بعض النماذج الرائدة في هذا المجال، ورغم أن جهودهم جاء فيها نوع من الانحياز للأفكار الغربية –لأنهم تتلمذوا على أيدي الغربيين– إلا أن دراساتهم كانت في معظمها واقعية إلى حدّ ما، وهي بمثابة بذرة في حقل

1- المرجع السابق، ص 14-15.

الدراسات الصوتية الحديثة تمكننا من النظر إلى الدرس الصوتي الحديث بشيء من الموضوعية والعقلانية؛ لأن اللغة المتداولة اليوم ليست هي اللغة التي بنى عليها القدماء من أمثال الخليل وسيبويه وابن جني وابن سينا وغيرهم بحوثهم ودراساتهم الصوتية، بل نحن أمام لغة جديدة تحتاج إلى شيء من التمعن والفحص الدقيق في الدراسة ووفق منهج علمي حديث نتوصل من خلاله إلى نتائج دقيقة.

المحاضرة الحادية عشرة

اللسانيات التركيبية

1- توطــئة:

إن تحليل ظواهر اللغة العربية أو تفسيرها يستلزم الوقوف بالضرورة عند مستويات الدرس اللساني من صرف ونحو وتركيب ودلالة وصوت ومعجم، إذ تتفاعل هذه المكونات وتتكامل فيما بينها في تفسير أي ظاهرة من ظواهر اللغة، بل إن الفكر اللغوي العربي القديم كان يعُدُّ اللغة أو الخطاب اللغوي كلاًّ متكاملا لا يتجزأ في الاستعمال والتداول، وأن فهم وتحليل ظاهرة لغوية ما يستلزم في سياقات متنوعة فهم الظاهرة وتحليلها في أبعادها التركيبية والدلالية والتداولية من جهة، والصرفية والصوتية من جهة أخرى.

2- مفهوم التركيب:

التركيب من أهم القضايا اللغوية التي شغلت تفكير العلماء العرب منذ نشأة الدراسات اللغوية، كما يعدّ التركيب من أهم المستويات التي تتكون منها اللغة، ويظهر في الدراسات اللسانية المعاصرة على أساس أنه مستوى هام من مستويات التحليل اللساني، وسنتعرض إلى مفهوم التركيب اللغوي لغة واصطلاحا.

أ- لغة:

يقول الفيروزآبادي (ت817 هـ) في القاموس المحيط: «رَكَّبَه تركيبًا وضَع بعضَه على بعضٍ، فتَرَكَّبَ وتَراكَبَ»[1]

وجاء في المعجم الوسيط: «تراكب الشيء: رَكِب بعضه بعضا، أو تراكم، تركَّب الشيء من كذا وكذا: تألَّف وتكوّن، التركيب: تأليف الشيء من مكوناته البسيطة، ويقابله التحليل»[2]

يتضح من خلال التعريفين السابقين للتركيب أن الفعل (ركَّب) بمعناه اللغوي هو ضمُّ شيءٍ إلى شيءٍ آخر، ووضع شيءٍ على شيءٍ آخر؛ حيث يَصير الشيئان في سياج واحد ولُحمةٍ واحدة.

1- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج 1، (ط8)، 2005، ص 91.

2- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، (ط4)، 2004 ص 367.

ب- التركيب اصطلاحًا:

جاء تعريف التركيب عند النحاة القدامى تحت باب: ائتلاف الكلمات؛ يقول أبو علي الفارسي (ت377هـ): «الاسم يأتلف مع الاسم، فيكون كلامًا مفيدًا؛ كقولنا: عمرو أخوك، وبِشر صاحبُك، ويأتلف الفعل مع الاسم، فيكون ذلك كقولنا: كتَب عبدالله، وسُرَّ بكر»[1]

فالتركيب حسب أبي علي الفارسي هو ضمُّ اسمٍ إلى جانب اسمٍ، أو فعلٍ إلى جانب اسمٍ؛ ليُكوِّنا كلامًا مفيدًا يؤدي وظيفته الاتصالية ويَقبله المتلقي، وهو على صور عدة، فقد يكون مركبًا من اسمين وهو الجملة الاسمية، أو من فعلٍ واسم وهو الجملة الفعلية، وقد يطول التركيب، فيتصل به ما تتم به الفائدة؛ كشبه الجملة والمفاعيل بأنواعها، وغيرها من المكملات حتى وإن كانت غير أصيلة في الجملة من ناحية الظاهر أو اللفظ، فإنها أصيلة جدًّا من ناحية المعنى والدلالة؛ إذ إنها تُظهر مَن وقَع عليه فعلُ الفاعل، أو تُوضِّح حاله وهيئته، أو غايةَ فِعله.

والأصل في التركيب «أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها وانضمامها لحروف أخرى وانضمام الحروف في الكلمات، والكلمات في أنساق تؤدي موقعا من الدلالة المعنوية فيكون نسيجا من العلاقات التي تقوم بين الحروف والكلمات المعنوية، وهذا ما بحثه العرب فيما يسمى بالإسناد»[2]

3- <u>مستويات التحليل اللساني:</u>

تعرف اللسانيات على أنها الدراسة العلمية للغة، وهذه الدراسة تستوجب تحليل الظواهر اللغوية المختلفة، وتحليل أية ظاهرة لغوية في أية لغة من اللغات لا يتم بشكل دقيق إلا بعد تحديد مستوياتها اللسانية، والفصل بين هذه المستويات اللسانية هو فصل إجرائي فقط، إذ تتفاعل هذه المستويات فيما بينها وتتكامل، وتشكل بذلك كلا متكاملا، فلا يمكن للفرد أن يستعمل اللغة من خلال مستوى واحد من مستوياتها المختلفة.

والباحث في التراث اللغوي العربي يتبين له بشكل يقيني أن علماء اللغة العرب القدامى كانوا بالفعل يأخذون في حسبانهم تكامل المستويات اللسانية أثناء دراستهم لظواهر اللغة، ويظهر ذلك جليا من خلال مؤلفاتهم ككتاب سيبويه الذي كان يعدّ النحو مجالا واسعا لدراسة اللغة من كل جوانبها

1- أبو علي الفارسي، الإيضاح العضدي، تح: حسن الشاذلي فرهود، الرياض، (ط1)، 1969، ص09.

2- صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط)، 1994، ص 15.

الصرفية والصوتية والدلالية والتداولية، ذلك أن النحو عنده هو دراسة تركيبية للغة صوتا وصرفا وتأليفا ودلالة، وهو ما نجده أيضا واضحا عند ابن جني من خلال تعريفه للنحو.

وسنعرض هذه المستويات بشيء من الاختصار، ونركز الحديث عن المستوى التركيبي لأنه المقصود بالدراسة، ومن هذه المستويات ما يلي:

3-1- المستوى الصوتي:

المستوى الصوتي مستوى لساني ينظر إلى اللغة بوصفها بنية صواتية، إذ يعالج أصوات اللغة من حيث هي عناصر أولية في تشكيل الكلمات والصيغ، فيدرس مخارجها وصفاتها...، ويعالجها فونولوجيًا من حيث تجاورها، وما يحدث عن ذلك من دلالات أو تغييرات، والتحليل اللساني للغة يبدأ بالأصوات بوصفها المادة الأساسية الأولى في تشكيل لبنات أي لغة من اللغات، حيث هي التي تبنى منها الكلمات أو الوحدات اللغوية، وهذا المجال يهتم به علم الأصوات أو علم الصواتة.

3-2- المستوى الصرفي:

في هذا المستوى نهتم بالوحدات اللغوية الدالة بوصفها بنية، فينظر في بناء الكلمة من حيث الصيغة الصرفية واستحضار القواعد المسؤولة عن سلامة بناء الكلمة، ويبحث في ما يقع في الكلمات من تغيير هدفه بناء كلمات جديدة، ولمعرفة هذا التغيير لابد من تصنيف الجذور في صيغ، من هنا نستطيع أن نميز بين الكلمات من خلال صيغها، فالفعل له صيغه والاسم يختص بصيغ معينة، ولا يقتصر العلم في هذا المستوى على التفريق بين صيغ الفعل والاسم فحسب، إنما يتجاوز ذلك إلى تصنيف هذه الكلمات إلى صيغ صرفية هي التي يقع عليها هذا التغيير، وهذا المجال يهتم به علم الصرف أو ما يعرف بالمورفولوجيا.

3-3- المستوى الدلالي

يهتم المستوى الدلالي بالدراسة التي تتناول معاني الكلمات والمركبات والجمل والتعابير، وحقولها وعلاقاتها الدلالية، ففيه نتجاوز الجرس الصوتي، والنسيج الفونيمي للألفاظ، ورسمها الخطي، إلى ما تحيل إليه في العالم الخارجي أو العالم الذهني.

والتحليل الدلالي للكلمة أو الجملة أو الوحدة الدلالية هو أن هناك تغيرات تحدث في صلب النظام اللغوي، وهي من التعقيد والبطء بحيث لا يمكن رصد ذلك إلا بوعي علمي، يكون فيه صاحبه

متمكنا من أدوات رصد التطور أو التغيير الدلالي، واللغة ما دامت تخضع علاقتها الدلالية لمعيار الاعتباطية، فإنها تتطور وتتغير وتنزع نحو احتواء التغيرات الاجتماعية والثقافية، والتي تحدث في المجتمع اللغوي، فما اللغة إلا انعكاس للمجتمع بكل مكوناته وعناصره، والمجتمع عامة يؤثر في اللغة سلباً وإيجاباً، فمسألة التطور أو التغير الدلالي تأخذ في مجالها كل هذه الاعتبارات الاجتماعية والفكرية واللغوية والنفسية التي تخص المجتمع اللغوي.

3-4- <u>المستوى التركيبي:</u>

التركيب مستوى من مستويات التحليل اللساني في الدراسات الحديثة، ويطلق عليه في الدراسات التراثية بالمستوى النحوي، ويحدد التركيب بكونه تلك الدراسة التي تتناول صيغ اللغة، أو أجزاء الخطاب تأليفا وتركيبا، وهو فرع من فروع اللسانيات إلى جانب فروع أخرى منها الدلالة والصوت والمعجم.

وهو علم دقيق مجاله الجملة تأليفا وتركيبا، إذ هو علم يهتم بدراسة العلاقات التركيبية داخل الجمل، ومن دون هذه العلاقات تصبح الكلمات مبعثرة بلا قيمة.

وإذا كان المستوى التركيبي يهتم بعلاقات الوحدات اللغوية داخل التركيب، فإن هذه العلاقات تحدد وظائف هذه الوحدات، من هنا فإن اللسانيات الحديثة اهتمت بوظائف الجملة، وفي هذا الصدد يرى "أحمد المتوكل" أن لكل من الفاعل والمفعول به وظيفة تركيبية أساسية داخل الجملة، وفي اللسانيات التوليدية الفعل الرئيسي وما ينطوي عليه من معان ذات طبيعة مورفولوجية، أو ذات أصول تصريفية كالزمن والتطابق والإعراب والبناء، فإن قاعدته الدلالية أو رصيده المعنوي يتسع لقيمة دلالية تتمثل باختصار في معنى الحدث للفعل؛ أي أن الفعل من حيث بنيته التكوينية الأساسية له بعدان؛ بعد مورفولوجي، وبعد دلالي.

وظفت اللسانيات الحديثة في هذا الإطار مصطلحات أكثر دقة للتعبير عن مفهوم الوظائف التركيبية والدلالية، ومن هذه المصطلحات: منفذ، مستقبل، مستفيد...، وعليه يعدّ النحو التوليدي الفاعل من الناحية الدلالية منفذا والمفعول به مستقبلا.

ويرتبط مفهوم التركيب في الدراسة اللّسانية الحديثة بدراسة الجملة وعناصرها، والعلاقة الناشئة بين وحداتها اللغوية المختلفة كعلاقة الإسناد، فإسناد الحضور إلى الطالب في التركيب "الطالب حضر" هو على سبيل الإفراد، أما في التركيب "الطلاب حضروا" فهو على سبيل الجمع.

إن اضطلاع علم التركيب بدراسة العلاقة الناشئة بين الوحدات الدالة في الكلمة الواحدة أو بين الكلمات في السلسلة الكلامية يميزه عن فروع الدراسة اللسانية الأخرى التي تهتم بالتنوعات الشكلية لهذه الوحدات، كالدراسة الصرفية (morphologie) التي تهتم بالفونيم، أو كالدراسة الصوتية (phonologie) المهتمة بالوحدة الصوتية التمييزية.

أ- <u>قواعد تركيب أركان الجملة</u>:

لقد اعتمد تشومسكي تحليل الجملة إلى مؤلفاتها المباشرة، وهي الطريقة التي عرفت عند التوزيعيين، غير أن وجه التجديد في النموذج التوليدي هو السعي إلى تجريد هذه المكونات من خلال تقديم بدائل مجردة لعناصر التركيب اللغوي، وتتميز هذه البدائل بكونها قابلة للتطبيق على لغات مختلفة.

فقواعد تركيب أركان الجملة هي عبارة عن إعادة كتابة للأجزاء المؤلفة لها، أو تعويضها برمز مواز له، وهي على النحو الآتي:

1- الجملة ـــــ مركب اسمي + مركب فعلي	1- (S ـــ NP+VP)
2- المركب الاسمي ـــ اسم + أداة	2- (NP ـــ T +N)
3- المركب الفعلي ـــ الفعل +المركب الاسمي	3- (VP ـــ V + NP)
4- أداة التعريف ـــــ ال	4- (T ـــ The)
5- الاسم ـــــ (رجل، كرة، ...)	5- (N ـــ Man, Ball...)
6- الفعل ـــــ (ضرب، أخذ، ...)	6- (V ـــ Hit, Took...)

4- خلاصة:

من خلال ما سبق عرضه نتوصل إلى أن المستوى التركيبي في اللغة هو مستوى تنظيمي يتم من خلاله تنظيم الأصوات داخل الوحدة اللغوية أو داخل البنية اللغوية بشكل عام، فمن خلال قواعد التركيب تستقيم اللفظة كما تستقيم الجملة والنص، وتصبح ذا دلالة معروفة لدى جميع أفراد المجتمع

اللغوي، ومن جهة أخرى لا يجب فصل المستوى التركيبي عن باقي المستويات اللغوية؛ لأن اللغة وحدة واحدة لا يمكن تجزئتها استعمالا، إنما تتجزأ الدراسة في وحداتها المختلفة أو في مستوياتها.

المحاضرة الثانية عشرة

اللسانيات الدلالية

1- توطئة:

تمثل الدلالة مستوى من مستويات اللغة، إذ تتضافر المستويات الأخرى لتحققها، فتتّحد المستويات اللغوية (الصوتي والصرفي والنحوي) وتتكامل مع المستوى الدلالي لبلوغ المقاصد.

فالدلالة إذا مستوى من مستويات اللغة، لذا اتخذت ميدانا للبحث والدراسة حتى استقلت علما قائما برأسه، وأخذت الدراسات فيها تنمو وتتطور خاصة مع الدراسات اللغوية العربية التراثية، حتى بلغت مبلغا معتبرا مع النظرية التوليدية التحويلية.

2- مفهوم علم الدلالة:

يمثل علم الدلالة فرعا من فروع علم اللسان الحديث، وهو: «علم يبحث في دراسة المعنى في اللغة»[1]، ويقول أحمد مختار عمر في تعريفه لعلم الدلالة: «يعرفه بعضهم بأنه "دراسة المعنى" أو "العلم الذي يدرس المعنى" أو "ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى" أو "ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى»[2]

وموضوع علم الدلالة هو البحث في أي شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز مادام يحيل إلى معنى معينا؛ أي إنه كل موضوع يحيل إليه الرمز من معان مختلفة، وقد تكون الرموز علامات لغوية أو غير لغوية كالإشارة باليد أو بالرأس وغيرها، المهم في ذلك أنها تحمل معان، إلا أن علم الدلالة يركز أكثر على اللغة من بين أنظمة الرموز بوصفها ذات أهمية بالغة بالنسبة للإنسان.

3- نشأة علم الدلالة:

بمجيء الإسلام ونزول القرآن تغيرت الحياة الاجتماعية والثقافية للعرب، فبعدما كانوا قبائل متناثرة في شبه الجزيرة العربية، متناحرة فيما بينها، أصبحت أمة لها حضارة وقادت العالم فيما بعد، فالقرآن تحدّاهم في بيانه وإعجازه رغم أنهم كانوا فطاحل في اللغة والبيان والشعر، وعجزوا عن الإتيان ولو

1- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 102.

2- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص11.

بسورة منه، من هنا قامت دراسات عدّة حول هذا الكتاب المعجز تبحث في دلالات ألفاظه ومعانيها، فتعددت وتنوعت وتأسست على منهج وصفي استقرائي قصد تحديد المعاني التي يتوقف على فهمها فهم كتاب الله عزّ وجلّ.

وكانت البداية الحقيقية للدراسات الدلالية العربية بهذا المفهوم في القرن الثالث الهجري، وامتدّت طيلة القرون الرابع والخامس والسادس الهجرية، واستمرت بعد ذلك، وهذا دليل على أن الدرس الدلالي بدأ مبكرا مع سائر العلوم اللغوية، الأمر الذي يعني التطور والنضج الذي أحرزته اللغة العربية.

ومن الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب في علم الدلالة تسجيل معاني الغريب في القرآن، والحديث عن مجاز القرآن الكريم، والتأليف في الوجوه والنظائر في القرآن، وحتى ضبط المصحف بالشكل يُعدّ في حقيقته عملا دلاليا وإن تقاطع مع النحو والصرف؛ لأن تغيير الضبط يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة وبالتالي تغيير المعنى.

أما في الدراسات الحديثة فإن الدارسين العرب لعلم الدلالة والمؤلفين في ذلك تأثروا بما وصلت إليها الدراسات الدلالية في الغرب خاصة في أمريكا مع عالم اللغة "بلومفيلد" وما ثار حول آرائه من نقد وانتقاد، وكان من بين المؤلفين العرب "إبراهيم أنيس" في كتابه "دلالة الألفاظ" الذي صدر في طبعته الأولى سنة 1958، وكتاب "علم الدلالة العربي" لفايز الداية، وكتاب "علم الدلالة" لأحمد مختار عمر وغيرهم.

4- <u>النظريات الدلالية الحديثة:</u>

إن الناظر في مختلف النظريات الغربية الحديثة التي تبحث في الدلالة نجدها مختلفة رغم أن اللغة واحدة، ويرجع الاختلاف في الرؤية التنظيرية بين العلماء إلى الاختلاف في المنهج أو الطريقة المعتمدة في الدراسة، حيث نجد أغلب هذه النظريات يتوزع على خمسة حقول، تخضع لخمسة مناهج تبناها اللغويون في التنظير؛ المنهج الأول هو المنهج "الشكلي الصوري" الذي يصف المدلولات بالنظر إلى الشكل الذي يجمعها في بنية واحدة، أما المنهج الثاني فهو المنهج "السياقي" الذي يتم من خلاله تصنيف المدلولات لاعتبارات تركيبية وتعبيرية وأسلوبية، أما المنهج الثالث فهو المنهج "الموضوعي المقامي النفسي" الذي يحدد معه مدلول اللفظ والخطاب اللغوي، باعتبار حال المتكلم

ومقامه وموقفه، أما المنهج الرابع فهو منهج "الحقول الدلالية" المهتم بتحديد البنية الداخلية للمدلول، واعتبار القرابة الدلالية والعلائقية بين المدلولات، أما المنهج الخامس فهو منهج "التحليل المؤلفاتي" الذي تتكشف معه البنية العميقة للخطاب بتحليل اللفظ إلى مؤلفاته وعناصره.

والنظريات العربية في أي حقل من حقول العلم والمعرفة –ومنها حقل الدراسة الدلالية– لها مرجعيتها التاريخية والفكرية، وتخضع لتصورات اجتماعية معينة لا يمكن إسقاطها من أي مقاربة علمية، وهو ما حدا ببعض علماء العرب المحدثين إلى الدعوة لضرورة تجديد التراث من داخله دون إغفال "المفاتيح" العلمية الحديثة، ولا بد معها من احتياطات منهجية على النتائج التي نصل إليها، ومع ذلك لا يثنينا شيء عن إجراء إسقاطات منهجية ونظرية واعية على المنظومة المعرفية التراثية، وكون النظريات الغربية استمدت معالم قواعدها وتطبيقاتها من لغات أجنبية غير اللغة العربية، لا يعدّ مانعا من الاستفادة من أفكارها في تعاملنا مع التراث العربي، ذلك أن اللغة العربية بصفتها "لغة" تنتمي إلى مجموعة اللغات الطبيعية، وتشترك معها في عدد من الخصائص الصوتية والتركيبة والدلالية.

4-1- النظرية الإشارية:

تمثل هذه النظرية الحديثة أولى مراحل النظر العلمي في نظام اللغة في مسار علم الدلالة، إذ إن الدارسين يميزون أركان المعنى وعناصره، معتمدين في ذلك على النتائج التي توصل إليها "دو سوسير" في أبحاثه اللسانية التي خص بها العلامة اللغوية بوصفها وحدة لغوية تتكون من دال ومدلول، ورغم أن أصحاب هذه النظرية لا يجتمعون على رأي واحد، فإن أغلبهم أطلق على هذه النظرية مصطلح "النظرية الاسمية في المعنى (theory of meanings naming)" التي تنظر إلى الدلالة على أنها هي مسماها ذاته.

إن تقسيم دو سوسير للعلامة اللغوية من دال ومدلول وربطهما ببعض، هو تقسيم متميز للمعنى، ويُعدّ خطوة جريئة في عصره، وأعطى للمبحث الدلالي نفساً جديداً سوف يتولد عنه نظريات جديدة وأفكار مهمة، فالدراسات الدلالية التي اضطلع بها العلماء المتأخرون تدور كلها حول العلامة بتحليل مكوناتها، حيث قسمها "أوجدن audgene " و"ريتشاردز Richards" إلى ثلاثة أقسام؛ هي: الفكرة

والمرجع والمدلول، وحسب النظرية الإشارية فإن معنى الكلمة هو إشارة إلى شيء غير نفسها، وهنا يوجد رأيان:

أ- رأي يرى أن معنى الكلمة هو ما تشير إليه.

ب- رأي يرى أن معنى الكلمة هو العلاقة بين التعبير وما يشير إليه.

فدراسة المعنى على الرأي الأول تقتضي الاكتفاء بدراسة جانبين من المثلث؛ هما جانبا الرمز والمشار إليه، وعلى الرأي الثاني تتطلب دراسة الجوانب الثلاثة؛ لأن الوصول إلى المشار إليه يكون عن طريق الفكرة أو الصورة الذهنية.

4-2- النظرية التصورية:

تمثل هذه النظرية مستوى آخر من مستويات الدراسة الدلالية، فهي لا تعتمد على الإشارة بوصفها عنصرا أساسا للولوج إلى دراسة ما يتعلق بها من عناصر المعنى، إنما ترتكز على مبدأ التصور الذي يمثله المعنى الموجود في الذهن، وتعود جذور هذه النظرية إلى الفيلسوف الإنجليزي "جون لوك John Locke" في القرن السابع عشر، حيث يرى أن استعمال الكلمات يجب أن يكون الإشارة الحساسة إلى الأفكار، والأفكار التي تمثلها تعد مغزاها المباشر الخاص.

تُعدّ النظرية التصورية المعنى هو التصور الذي يحمله المتكلم ويحصل للسامع، حتى يتم التواصل والإبلاغ، فإن عالم الأشياء غير متجانس، كما أن التصورات متباينة من فرد إلى آخر، فتصور "شجرة" مثلاً، يحمل جملة من الدلالات المختلفة اختلافاً قد يكثر أو يقل بحسب وجود هذا التصور داخل عالم الأشياء، كما أن هناك كلمات لا تحمل تصوراً بوصفها لا تنتمي إلى عالم الأشياء كالأدوات والحروف.

ويرى أصحاب هذه النظرية أن كل تعبير لغوي أو لكل معنى متميز للتعبير اللغوي فكرة يملكها، وهذا يتم بتحقق شروط؛ هي:

- أن تكون الفكرة حاضرة في ذهن المتكلم.
- يجب أن ينتج المتكلم التعبير الذي يجعل الجمهور يدرك أن الفكرة المعينة موجودة في عقله في ذلك الوقت.
- التعبير يجب أن يستدعي الفكرة نفسها في عقل السامع.

4-3- النظرية السلوكية:

تمثل هذه النظرية المنحى العلمي الذي طغى على ساحة البحث في ذلك الوقت، فهو منحى يرتكز على الملاحظة والمشاهدة، ويستبعد الأفكار المجردة، حيث أولى أصحاب هذه النظرية اهتماماً للجانب الممكن ملاحظته، وهي بهذا تخالف النظرية التصورية التي تركز على الفكرة أو التصور، الأمر الذي أدى بالعالم اللغوي "بلومفيلد" إلى التخلي عن الاتجاه العقلي والبحث عن الدلالة في السلوك اللغوي الظاهر، حيث يرى أن معنى الصيغة اللغوية هو الموقف الذي ينطقها المتكلم فيه، والاستجابة التي تستدعيها من السامع، فعن طريق نطق صيغة لغوية يحث المتكلم سامعه على الاستجابة لموقف ما، هذا الموقف وتلك الاستجابة هما المعنى اللغوي للصيغة، والقول بمبدأ المثير والاستجابة يستدعي الأخذ كذلك بالمقام الذي حصل فيه الحدث الكلامي، ولكي يتم تحديد دلالة صيغة لغوية تحديداً دقيقاً وجب حصر جميع المقامات التي صاحبت استعمال الصيغة في الحدث الكلامي، ومعرفة شاملة لكل ما يشكل عالم المتكلم.

قامت النظرية السلوكية على مجموعة من الأسس، أهمها:

- التشكك في كل المصطلحات الذهنية مثل العقل والتصور والفكرة.
- تقليص دور الغرائز والدوافع والقدرات الفطرية الأخرى، والتأكيد على الدور الذي يؤديه التعلم في اكتساب النماذج السلوكية.
- اتجاهها آلي؛ يرى أن كل شيء في العالم محكوم بقوانين الطبيعة.
- السلوك نوع من الاستجابات لمثيرات تقدمها البيئة (جيل وجاك والتفاحة).

وتطورت هذه النظرية على يد الفيلسوف الأمريكي "شارل موريس Charles Morris" الذي لاحظ أنه قد تتعدد الاستجابات لمثير واحد، يعني اشتراك دلالات في صيغة لغوية واحدة، وذلك أن المنطوق قد يحمل قيماً أسلوبية ومعان حافة يتولد عنها استجابات متنوعة، وقد أخرج موريس من معنى الصيغة الاستجابة أو رد الفعل، واكتفى بمجرد الميل أو الرغبة، ويعني ذلك أنه إذا وجد ميلا أو رغبة صريحة للقيام باستجابة معينة لمثير منطوق لغوي، فدلالة على وجود ارتباط يجعل الاستجابة تكون لذلك المثير، وهذا الارتباط بمثابة الاشتراط، وقد مثل ذلك بالعلاقة: "إذا كانت (ط) حينئذٍ تكون (س)"، حيث ط = اشتراط.

ورغم هذا التطور الحاصل في النظرية السلوكية، بلجوء موريس إلى فكرة الميل أو المزاج، فإنه وُجدت تراكيب وعبارات لغوية لا تخضع لمعايير هذه النظرية، وبالتالي وجدت فجوات علمية واضحة لم تستطع النظرية السلوكية سدها، مما عجل بميلاد اتجاه آخر في الدرس الدلالي حاول الإجابة عن التساؤلات المطروحة حول تحديد علمي موضوعي دقيق للدلالة وطرق ضبطها.

4-4- النظرية السياقية:

ويعود ظهور هذا الاتجاه إلى عالم اللغة الإنجليزي "فيرث Firth"، إذ يرى أن نظام اللغة نظام متشابك العلاقات بين وحداته، وتحديد دلالة الكلمة يحتاج إلى تحديد مجموع السياقات التي ترد فيها، حيث نفت عن الصيغة اللغوية دلالتها المعجمية.

إن منهج النظرية السياقية يعد منهجا أكثر موضوعية ومقاربة للدلالة، ذلك أنه يقدم نموذجاً فعلياً لتحديد دلالة الصيغ اللغوية، وقد تبنى كثير من علماء اللغة هذا المنهج.

ودراسة دلالة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حيث يتعدد معنى الكلمة بتعدد السياقات، أو ما يسمى التوزع اللغوي، وقد حدد "هامر Ammer" أربعة سياقات، هي:

- السياق اللغوي: ويحدد تغيير دلالة الكلمة تبعاً لتغيير يمس التركيب اللغوي، كالتقديم والتأخير في عناصر الجملة مثلا.
- السياق العاطفي الانفعالي: يحدد دلالة الصيغة أو التركيب من معيار قوة أو ضعف الانفعال، فبالرغم من اشتراك وحدتين لغويتين في أصل المعنى إلا أن دلالتها تختلف، مثل ذلك الفرق بين دلالة الكلمتين: (اغتال وقتل)
- سياق الموقف أو المقام: وهو يعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، فتتغير دلالتها تبعاً لتغير الموقف أو المقام، وقد أطلق اللغويون على هذه الدلالة مصطلح "الدلالة المقامية".
- السياق الثقافي أو الاجتماعي: ويتمثل في القيم الثقافية والاجتماعية التي تحيط بالكلمة، إذ تأخذ ضمن دلالة معينة. وقد أشار علماء اللغة إلى ضرورة وجود هذه المرجعية الثقافية عند أهل اللغة الواحدة لكي يتم التواصل والإبلاغ، وتخضع القيم الثقافية للطابع الخصوصي الذي يلون كل نظام لغوي بسمة ثقافية معينة، ويكون أحد العوائق الموضوعية في تعلم اللغات.

4-5- النظرية التوليدية: تعدّ النظرية التوليدية من أشهر النظريات اللغوية حالياً، ويعد "تشومسكي" رائدَ هذه النظرية، وبالرغم من أن تشومسكي عاد بالبحث الدلالي إلى الطابع العقلاني الذهني إلا أن نظريته استطاعت أن تقدم تفسيرات علمية لظواهر لغوية تخص الدلالة، وتستند هذه النظرية على آلية توليد جمل صحيحة، اعتماداً على كفاية المتكلم اللغوية، ويعني ذلك توفر قواعد تنظيمية ذهنية في عقل متكلم اللغة، تتيح له ما شاء من الجمل، وقد انطلق تشومسكي للتدليل على وجود هذه الكفاية من تعلم اللغة عند الطفل، حيث يرى أن الطفل ينتج جملاً لم يسبق له أن سمعها من قبل بناء على القواعد الكائنة ضمن كفايته اللغوية.

ويرى تشومسكي أن للظاهرة اللغوية بنيتين؛ بنية سطحية وأخرى عميقة، وعليه حدد مصطلح "الكفاية اللغوية" و"الأداء اللغوي"؛ فالأداء اللغوي يمثل ظاهرة الخطاب في النظرية التوليدية، أما "الكفاية اللغوية" فتمثل حقيقة الخطاب، ويرى على اللغوي أن لا يبني أحكامه على بنية اللغة السطحية، إنما عليه أن يصل إلى البنية العميقة ليطلع على القواعد الذهنية التي تنظم اللغة، وقد توصل تشومسكي إلى أن العقل الإنساني يحوي آلية مكونة من مجموعة قواعد متناهية، بمقدورها تحليل الجمل، ومساعدة متكلم اللغة على إنتاج جمل لا متناهية بمعجم لغوي متناه، فضلاً عن فهم الجمل التي لم يسبق له أن سمعها.

والتحليل المفهومي في النظرية التوليدية يعوّض التحليل التوزيعي، الذي اتبعته النظريات السابقة في اللغة، فما الدلالة إلا مجموعة سمات تتحدد بواسطة المشير الدلالي، وذلك في تعيين العلاقات الدلالية بين الكلمات المترادفة والمتزايلة أو المتضمنة الواحدة الأخرى.

وهدف هذه النظرية السامي هو معرفة الطاقة الكامنة في اللغة على مستوى التعبير، وهو تأثر بآراء المدرسة الفلسفية العقلانية التي سادت في القرن السابع عشر، واتخذ تشومسكي منهجاً عميقاً لا يعتمد الوصف فحسب، وإنما التحليل والتفسير للوصول إلى وضع معايير تحدد قدرة اللغة على الخلق والإبداع والابتكار، بإعادة بناء "نسق المعاني" عن طريق قواعد التوليد والتحويل، ولذلك عُدّت النظرية التحويلية التوليدية من أحدث النظريات التي قدمت تفسيراً علمياً موضوعياً لنظام اللغة، ووضعت قواعد مرنة تصلح لأي لغة، لأنها قواعد تتسم بالشمولية.

4-6- النظرية التحليلية: تهتم هذه النظرية بتحليل الكلمات إلى مكوناتها، وقد قدم العالمان "كاتزKatz" و"فودورFodor" تحليلاً مميزاً للكلمات ودلالاتها، وأحصيا في ذلك ثلاثة عناصر اتخذت مفاتيح للتحليل وتحديد المؤلفات التي تشكل الكلمة لتعيين دلالتها؛ وهذه العناصر هي: المحدِّد النحوي والمحدِّد الدلالي والمميز، وتكمن أهمية هذه النظرية في طابعها الوظيفي، إذ تُستخدَم في كثير من مجالات اللغة كالمجاز والترادف والمشترك اللفظي، والمحدد الدلالي يقوم بتخصيص معنى شامل لكل تركيب، انطلاقاً من الدلالات الفردية للمورفيمات التي تؤلفه، وتبعاً لطريقة تأليف هذه المورفيمات، والمميز يشرف على الوظيفة التمييزية، ويقتضي ذلك وجود تضاد بين الوحدات المميزة؛ من ذلك التضاد الصوتي القادر على التمييز بين كلمتين من حيث المعنى كالتمييز بين الكلمتين: (تاب) و(ناب)، فوجود التاء في تاب مكان النون في ناب ميّز بين دلالة الكلمتين، ويقوم المحدِّد النحوي بوظيفة التمييز بين دلالتين لصيغة واحدة تأخذ إحداها في التركيب وظيفة "الفعلية" والأخرى وظيفة "الفاعلية"، فتحديد دلالات الصيغة اللغوية يتم بمقاربة هذه الصيغ بصيغ أخرى داخل الحقل المعجمي.

وعلى ضوء نظرية العالمين "كاتز" و"فودر" التحليلية يمكن تحليل كلمة "رجل" كما يلي:

اسم + محسوس + معدود + حي + بشري + **ذكر** + بالغ.

وتختلف عنها كلمة "امرأة" بمؤلف "الجنس" فقط على النحو التالي:

اسم + محسوس + معدود + حي + بشري + **أنثى** + بالغ.

وهكذا يكون التحليل بالنسبة للكلمات الأخرى.

5- خلاصة:

إن اللسانيات الدلالية أو الدراسات الدلالية الحديثة شكلت مبحثا هاما في الدراسات اللسانية بشكل عام، إذ أي تحليل لساني لأي وحدة كانت لا بد أن تراعي الدلالات في المقام الأول، ثم إن الدراسات الدلالية لم تكن وليدة اللسانيات الحديثة فقد خاض فيها كثير من الباحثين قبل عصرنا هذا، ولعل الدراسات الدلالية مع بداية الدرس اللغوي العربي لخير دليل على ذلك.

إن ما عرض من نظريات حديثة في دراسة اللغة دراسة دلالية مكنت من تحليل الوحدات اللغوية تحليلا منطقيا رغم ما فيها من قصور وعوائق.

الخاتمة

هذه جلّ الموضوعات التي تشملها اللسانيات العربية منذ نشأتها وتطورها عبر مراحل مختلفة، حيث مسّت معظم جوانب البحث اللساني العربي، فاللسانيات العربية جزء من الدراسات اللسانية الحديثة، وقد أخذت اللسانيات موضعها بين العلوم، بل أصبحت رائدة، وأصبح كل علم يرومها، من هنا جاءت أهميتها.

وقد توخيت أثناء تحضير هذه الدروس الدقة والوضوح والأمانة العلمية، وحاولت اتباع منهج علمي واضح، وحاولت جاهدا أن ألم بكل موضوعات اللسانيات العربية بشيء من التبسيط والوضوح، حيث إن هذه المادة مقررة حديثا في جامعتنا فآمل أن أكون بعملي هذا قد ولجت باكرا مجالا مهما في الدراسات اللغوية العربية، وأن يكون عملي هذا باكورة هذه الدراسات الأكاديمية.

ولا أدعي أن عملي هذا يتّسم بالكمال والشمول، فشأنه شأن سائر البحوث والدراسات المختلفة، فهو لا يخلو من نقائص أو زلات أو ملاحظات رغم حرصي على تجنب كل نقيصة فيه، وإصراري على مراجعته وضبطه وتنسيقه، وسعيي إلى حسن صياغته وتنظيم مادته العلمية، حسبي في ذلك كله وجه الله سبحانه وتعالى.

وآمل بهذا الجهد المتواضع أن أكون قد قدمت للقارئ عملا مفيدا، وأن يترك لديه أثرا طيبا، وأن يكون عملي هذا إضافة حقيقية في مجال الدراسات اللغوية العربية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا- الكتب:

1. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط؛ لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، (ط4)، 2004.
2. إبراهيم خليل، مدخل إلى علم اللغة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان، (ط1)، 2010.
3. إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مؤسسة هنداوي، القاهرة، (ط3)، 2012.
4. الإبراهيمي خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر 2000.
5. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، (ط3)، 2008.
6. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، (ط 6)، 1988.
7. ـــــــــــ، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب للنشر، القاهرة، (د.ط)، 1991 .
8. ـــــــــــ، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، (ط5)، 1998.
9. البدراوي زهران، محاضرات في علم اللغة العام، دار العالم العربي، القاهرة، ج1، (ط1)، 2008.
10. بكوش فاطمة الهاشمي، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، إيتراك للنشر والتوزيع، (ط1)، مصر، 2004.
11. بلعيد صالح، التراكيب النحوية وسياقتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط)، 1994.
12. بناني محمد الصغير، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، (ط1)، 2001.
13. البهنساوي حسام، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، مصر،(د، ط)، 1994.
14. بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة، الجزائر، (ط2)، 2012،

15. بوقرة نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، (ط1)، (د، ت)
16. الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، (ط7)، 1998.
17. جاد الرب محمود، علم اللغة نشأته وتطوره، دار المعارف، القاهرة، (ط1)، 1985.
18. ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب، بيروت، ج1، (د.ت).
19. ـــــــ، الخصائص، تح: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج1، (د، ط)، (د.ت).
20. ـــــــ، سر صناعة الإعراب، تح: أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (ط1)، (د، ت).
21. جورج مونان، مفاتيح الألسنية، تر: الطيب البكوش، منشورات سعيدان، تونس، 1994.
22. الحاج صالح عبد الرحمن، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، دار الفكر الإسلامي، ط1، المغرب، 1987.
23. ـــــــــــــــ، النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، العدد10، جامعة الجزائر، 1996.
24. ـــــــــــــــ، في اللسانيات العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، (د. ط)، 2007.
25. ـــــــــــــــ، والبحث العلمي في منهجية الدرس اللغوي، سلسلة بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1.
26. حايلا محمد، نسق اللغة–فرضيات التكوين وإشكالات الصيرورة، عالم الكتب الحديث، الأردن، (ط1)، 2012.
27. حجازي محمود فهمي، البحث اللغوي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة،(ط1)، (د، ت).
28. حساني أحمد، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، 1994.
29. حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د، ط)، 1988.

30. ـــــــــ، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د، ط)، 2000.
31. الحمد غانم قدوري، المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، (ط1)، 2004.
32. ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تح: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د، ط)، 2007.
33. الداية فايز، علم الدلالة العربي– النظرية والتطبيق، دار الفكر، دمشق، (ط2)، 1996.
34. الرحالي محمد، تركيب اللغة العربية مقاربة نظرية جديدة ، دار توبقال للنشر، المغرب، (ط1)، 2003.
35. رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (ط6)، 1999.
36. ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2، (د، ط)، 1972.
37. السعران محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د، ط)، 1962.
38. سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، دار الجيل، ط1، بيروت1991.
39. الصاحب إسماعيل بن حماد، المحيط في اللغة، تح: محمد حسين آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ج3، (ط1)، 1994.
40. صاري محمد، محاولات تيسير النحو قديما وحديثا، جامعة عنابة، الجزائر، 2003.
41. الطنطاوي محمد، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، عالم الكتب، بيروت، (د، ط)، 2005.
42. الظالمي حامد ناصر، أصول الفكر اللغوي عند العرب، في دراسات القدماء والمحدثين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (ط1)، 2011.
43. عبد العزيز عبد القادر، الجامع في طلب العلم الشريف، دار التوفيقية للتراث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، (ط3)، 2008.
44. عبد القادر شاكر، علم الأصوات العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 2012.

45. عتيق عبد العزيز، مدخل إلى علم الصرف، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (ط1)، 1990.
46. عشاري أحمد محمود، أزمة اللسانيات في العالم العربي، بحث أُلقي في ندوة اللسانيات وتطورها في العالم العربي، الرباط، 1987.
47. علوي حافظ إسماعيلي والملاخ امحمد، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ناشرون، بيروت، (ط1).
48. علوي حافظ اسماعيلي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة –دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد بيروت، (ط1)، 2009.
49. عمايرة خليل أحمد، في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة، جدة، (ط1)، 1984.
50. عياشي منذر، قضايا لسانية وحضارية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، (ط1)، 1990
51. عيد محمد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، عالم الكتب، القاهرة، (د، ط)، 1979.
52. بن عيسى مجدي، اللسان وعلومه في مقدمة ابن خلدون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، (ط1)، 2015.
53. غلفان مصطفى، اللسانيات العربية –أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، (ط1)، 2013.
54. الفارابي أبو نصر، إحصاء العلوم، شرح وتبويب علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، (ط1)، 1996.
55. الفارسي أبو علي، الإيضاح العضدي، تح: حسن الشاذلي فرهود، الرياض، (ط1)، 1969.
56. الفاسي الفهري عبد القادر، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال للنشر، المغرب، (ط1)، 1998.
57. فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، (د، ط)، 2012.

58. أبو الفرج محمد أحمد، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د، ط)، 1966.
59. فريحة أنيس، في اللغة العربية وبعض مشكلاتها دار النهار للنشر، بيروت، (ط1)، 1966.
60. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج 1، (ط8)، 2005.
61. الكراعين أحمد نعيم، علم الدلالة بين النظر والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، (ط1)، 1993.
62. ليونز جون، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعيّة، ط 1، مصر،1985.
63. المتوكل أحمد، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، (ط1)، 1985.
64. المتوكل أحمد، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، (ط1)، 1986.
65. المسدي عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، (ط2)، 1986.
66. ـــــــــــ، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للكتاب، تونس، (د، ط)، 1986.
67. ـــــــــــ، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984.
68. مصلوح سعد عبد العزيز، في اللسانيات العربية المعاصرة، دراسات ومثاقفات، عالم الكتب، القاهرة، مصر، (د، ط)، 2004.
69. مندور مصطفى، اللغة والحضارة، مكتبة الشباب، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).
70. المهيري عبد القادر وآخرون، أهم المدارس اللسانية، تونس، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، 1986.
71. حنيفي ناصر ولزعر مختار، اللسانيات–منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (ط2)، 2010.

72. نحلة محمود أحمد، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط)، 1988.
73. نصر سلمان وسعاد سطحي، الملخص الطريف في بعض مسائل علمي النحو والتصريف، دار ابن حزم، بيروت، (ط1)، 2011.
74. الهاشمي سيد أحمد، القواعد الأساسية للغة العربية حسب منهج متن الألفية لابن مالك، تح: التونجي محمد، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، (ط3)، 2006.
75. الوعر مازن، قضايا أساسية في علم اللسان، دار طلاس للنشر والتوزيع، دمشق، (د، ط)، 1988.

ثانيا- المجلات والندوات:

1. بوشحدان الشريف، النظرية الخليلية الحديثة وسبل ترقية تعليم اللغة العربية فيما قبل الجامعة، مجلة التواصل في اللغات والثقافة والآداب، جامعة باجي مختار، عنابة، ع: 31، 2012.
2. الحاج صالح عبد الرحمان، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، العدد 4، جامعة الجزائر، 1974 .
3. ـــــــــــــــ، الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية، ندوة اتحاد الجامعات العربية، جامعة الجزائر، 1984.
4. ـــــــــــــــ، الأصالة والبحوث اللغوية الحديثة، حوليات جامعة الجزائر، ع: 6، ج: 1، 1992-1993.
5. خيرية بشير أحمد، النظريات الدلالية الحديثة والبحث اللغوي، المجلة الجامعة، ليبيا، ع: 21، 2019.
6. طيبي غنية، اللسانيات العربية -الواقع والآفاق قراءة في تصور "مصطفى غلفان"، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سطيف 2، ع: 03 م: 16، 2019.
7. علوي حافظ اسماعيلي، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة -نحو مقاربة إبستمولوجية، مجلة اللسانيات واللغة العربية، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة باجي مختار، عنابة، ع: 02، 2006

8. ــــــــــــــ، اللسانيات في الثقافة العربية وإشكالات التلقي (اللسانيات التمهيدية نموذجاً)، مجلة فكر ونقد، ع: 58، 2004.
9. ــــــــــــــ، نحن واللسانيات مقاربة لبعض إشكالات التلقي في الثقافة العربية، مجلة الكلمة، بيروت، م 15، ع: 59، 2008.
10. علوي شفيقة، العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العاملي لنعوم تشومسكي، حوليات التراث، الجزائر، ع:07، 2007.
11. غلفان مصطفى، اللسانيات العربية الحديثة –دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات 4.
12. الوعر مازن، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، مجلة التراث العربي، دمشق، ع: 48، 1992.

ثالثا– المواقع الإلكترونية:

1. الموسوعة الحرة، موقع ويكيبيديا :

https://ar.wikipedia.org/wiki/

2. النظريات الدلالية الحديثة، الموقع الإلكتروني:

https://linguisticstudie/posts/1728640110782505/